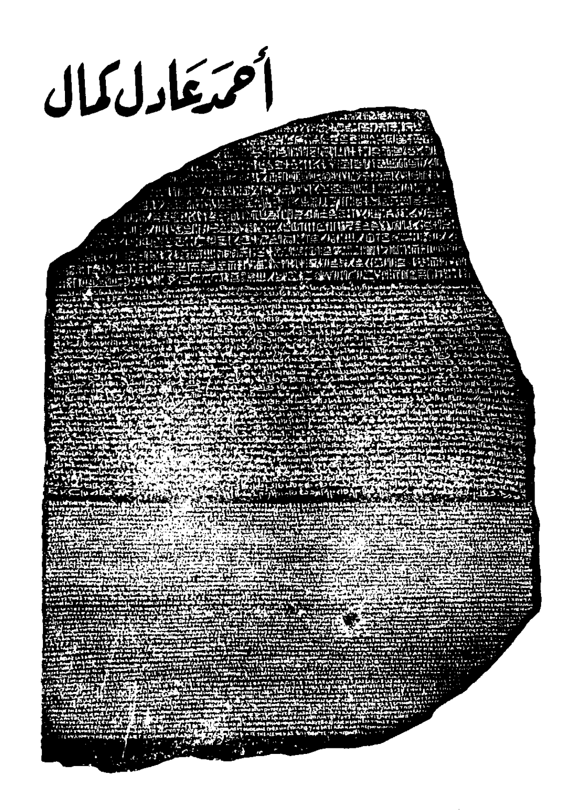
حجر رشيد والهيروغليفية

(نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)

أحمد عادل كمال






بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربى
قســـم النشــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رالف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣ م

الجمع التصويري والتجهيز

بالزهراء للإعلام العربي

حجر رشيد

والهيروغليفية



تقديم

منذ هبط آدم وزوجه إلى الأرض ، ثم كان لهما أولاد وذرية ، وقد علموا أن حياتهم لم تعد حياة في جنة ، وإنما عليهم أن يعملوا وأن يكدوا وأن يتعلموا أشياء كثيرة لكي يعيشوا ، وأن يبتكروا لكي ترتقي معيشتهم .

وقد لا يخالف أحد في أن أعظم ابتكارات الإنسان إنما هو علم الكتابة وفن الخط . فقد بدأ الإنسان يتكلم ، ولعله لبث أحقابا يتكلم فقط ، فلما فكر أن يسجل ذلك الكلام على أي سطح بحيث يمكن قراءته مرة أخرى كان ذلك بلاشك نقلة عظيمة وهائلة في مدارج الرقي البشري ، وهو ما لم يفعله مخلوق آخر سوى مخلوقات الملأ الأعلى التي لم نكن لنعلمها لولا أن أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها بمثل قوله ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ ﴿ **والطور وكتاب مسطور فى رق منشور** ﴾ ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين** ﴾ ... إلخ .

فالكتابة إذًا من خصائص كائنات الملأ الأعلى والإنسان منها ،

خلقه الله ونفخ فيه من روحه وأسكنه أول ما أسكنه الجنة .

وقد جاءت مادة « كتب » في القرآن الكريم بمعنى قضى وأبرم وأمر ، و « الكتاب » بمعنى الفرض والحكم والقدر ، وذلك كثير في القرآن مثل قوله ﴿ **أدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم** ﴾ ﴿ **كتب على نفسه الرحمة** ﴾ ، ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى** ﴾ ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** ﴾ .... إلخ .

ونبه أن الكتابة أمانة وحذر أشد التحذير من خيانتها وسوء استخدامها ، فقال : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ ﴿ **ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله** ﴾ . وكأنما فرض لأصحاب صنعة الكتابة ما يشبه الحصانة في صنعتهم فقال : ﴿ **ولا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾ . وأقسم بالقلم وما يسطر ﴿ **ن . والقلم وما يسطرون** ﴾ .

وأكرم الله الكتابة وأعلى قدرها فجعل رسالاته إلى الناس في صورة كتب أو صحف أو ألواح مكتوبة ﴿ **ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** ﴾ وعيسى عليه السلام ﴿ **قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا** ﴾ ﴿ **إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى** ﴾

وغضب موسى فألقى الألواح ، والأنبياء ﴿ **جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** ﴾ .

وجعل الله سبحانه وتعالى استقامة موازين اليوم الآخر إنما يقيمها على كتب وكتابة ﴿ **إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم** ﴾ ﴿ **والله يكتب ما يبيتون** ﴾ ﴿ **إن رسلنا يكتبون ما تمكرون** ﴾ ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه** ﴾ ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب** ﴾ ويخرج الله لكل إنسان كتابا يلقاه منشورا .... فيقرأ كتابه .... ومنهم من أوتي كتابه بيمينه ومنهم من أوتي كتابه بشماله ومنهم من أوتي كتابه وراء ظهره فكتاب الفجار في سجين وكتاب الأبرار في عليين .

فالكتابة هي بداية العلوم – كل العلوم – ما وصل إليه الإنسان وما سوف يصل . هل نستطيع أن نتصور شكل الأرض وشكل الإنسان الذي عليها لو لم تكن كتابة ؟ إنه أمر لا يتصور . وكيف نتصور العالم بغير لغة وأدب ، بغير تاريخ وجغرافيا ، بغير كيمياء وطبيعة ، بغير طب وهندسة ، بغير رياضة وفلك ، بغير حساب وجبر ، بغير موسيقى وميكانيكا ، بغير صناعة وتجارة ، بغير ... ، وبغير ... ، وبغير . كل ذلك وغيره لا يكون بغير خط وكتابة .

تحت هذه الضرورات هدى الله الإنسان أن يبتكر الكتابة . في تفسير القرطبي لسورة مريم « آية 56 » إن نبي الله إدريس عليه السلام كان أول من خط بالقلم ، وهو أمر لا ذكره القرآن ولا

صحيح الحديث ولا أسنده القرطبي إلى مصدر ولا ذكره علم التاريخ ، فهو قول لا يثبت ، هذا فضلا عن أننا لا نعرف تاريخ وجود إدريس على الأرض وإنما قيل هو جد نوح وقيل بل هو من ولد نوح . فلم يعد أمامنا غير علم التاريخ .

وما يقوله التاريخ أن الإنسان المصري القديم هو الذي ابتكر أول خط عرفته البشرية ، وكان ذا ذهن غني سخي خصب استطاع أن يطور العمل الذي بدأه من خط إلى خط إلى خط ، وبعد قرون كان طبيعيا أن تذهب شعوب أخرى إلى تقليد المصريين في صناعة خطوط لها تعبر بها عن لغاتها .

كيف حدث ذلك ، وكيف تم اكتشافه ؟

هذا ما سوف نذهب لاستطلاعه مع صفحات هذا الكتاب .

الفصل الأول

البطالة في مصر



البطالمة في مصر

غزا الإسكندر الأكبر مصر عام 332 ق .م ثم غادرها عام 331 ق .م . ليواصل حروبه ضد الفرس ، ولكنه لم يلبث أن مات شابا عام 323 ق .م . مات دون أن ينظم وراثة العرش أو يرشح خلفا له ، فاجتمع قادة جيشه في بابل واتفقوا أن يرث العرش أخ غير شقيق للإسكندر اسمه فيليب أرهيدوس مع الاعتراف بحق جنين في أحشاء روكسانا الزوجة الفارسية للإسكندر إذا جاء ذكرا ليشارك فيليب الملك . كما تم توزيع الإمبراطورية بين قادة الإسكندر فكانت مصر من نصيب قائد اسمه بطليموس الذي صار رأس أسرة عرفت بالبطالمة « أو البطالسة » – 15 حاكما بطليموسيا – حكمت مصر من عام 333 ق . م إلى سنة 30 ق .م .

والذي يهمنا هنا من تلك الأسرة هو بطليموس الخامس أبيفانس « يعني الطاهر » يوخارستوس Epiphanes Eucharistos الذي حكم مصر فيما بين 203 ق . م « وقيل 205 ق .م » إلى عام 181 ق . م « أو 180ق .م » ، وقد تزوج كليوباترا ابنة أنيتوخس الثالث

الملك السليوقي على سوريا وصارت ملكة باسم كليوباترا الأولى . ،
كان بطليموس الخامس أبيفانس حين مات فجأة بين الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين من عمره ، شابا فتيا فارسا ماهرا في الصيد واستخدام السلاح ، ولكنه كان سيئا قاسيا مع المصريين بما أدى إلى ضياع معظم ممتلكات الدولة في الخارج « في سوريا » ، وحين مات ترك الملكة وولدين وابنة .

نصب إيبفانس :

ولد إيبفانس عام 210 ق .م أبنا لبطليموس الرابع فيلوياتور « يعني المحب لأبيه » ، وفي 203/11/28 ق . م نصب ملكا على مصر على أثر موت أبيه وأمه وذلك تحت وصاية سوسيبوس الذي استقال 202 ق . م وصار أجاتوكليس هو الوصي ، ولكن ثليبولموس قائد حامية بليزيوم ثار عليه وسار إلى الإسكندرية وأجبره على التنحي عن الوصاية .

وكان عهد إيبفانس كله ثورة مستمرة ، قابلها الأوصياء عليه ثم هو ذاته بعد الوصاية بكل شدة وقمع ، وظلت طيبة منفصلة عن حكم البطالمة حتى تمكن بطليموس الخامس إيبفانس من القبض على زعيمها أنخماخيس عام 186 ق .م .

وفي عام 196 ق . م وبمناسبة مرور عام على بلوغ إيبفانس سن الرشد أقيم احتفال كبير في ممفيس لتتويج بطليموس الخامس إيبفانس فرعونا على مصر واعتبر إلها ، وكان تزوج كليوباترا الأولى فأشركها

معه في التألّه ، وأجزل الملك الهبات للمعابد وخفض الضرائب وعفا عن المسجونين . ونحت له تمثال في المعبد وأقيم إلى جانبه لوح « نُصُب » من البازلت الأسود .





بطليموس الخامس

ومن الصعب أن نفهم كيف نقل ذلك الحجر من ممفيس إلى رشيد حيث عثر عليه ضباط الحملة الفرنسية بعد حوالي عشرين قرنا ، والراجح أنه لم ينقل وإنما نحتت منه نسخ وزعت على المعابد ، أو على الأقل هذه النسخة التي بين أيدينا ، ذلك هو الذي عرف بعد ذلك واكتسب شهرته باسم حجر رشيد The Rosetta Stone .

وبطبيعة الحال لقد كان ذلك النص معروفا – بل ومرموقا – يوم تم نحته وإقامته في المعبد ولكن اختفى ذكره بعد ذلك من التاريخ فلم يرد له أي ذكر 1995 عاما حتى عثر عليه ضباط الحملة الفرنسية بمدينة رشيد ، وبعد أقل من عامين انتقل إلى حيازة الإنجليز على ما سوف نوضحه ، وعلى ذلك نستطيع القول إننا – نحن المصريين – لم نلمس هذا الحجر منذ 22 قرنا ، ولا يراه من يراه منا إلا في المتحف البريطاني بلندن . ولذلك فإن كافة معلوماتنا عنه وصوره الفوتوغرافية والمرسومة إنما وصلتنا من خلال المصادر الفرنسية والإنجليزية .

ماذا على ذلك الحجر :

مصدرنا في ذلك نشرة للمتحف البريطاني ، قدمت للنص الذي عليه بملاحظة أنها ترجمته عن النص اليوناني ، وأنه لم يتيسر دائما تقسيم سطور الترجمة الإنجليزية تماما طبقا لسطور النص اليوناني – 54 سطرا – وبطبيعة الحال فقد عانينا نفس الصعوبة ونحن نترجمها عن الإنجليزية إلى العربية .

وفيما يلي هذه الترجمة :

(1) في عهد الفتى الذي خلف والده في الملك ، سيد الأكاليل ، منشئ مصر المجيد الورع

(2) تجاه الآلهة ، المظفر على أعدائه ، الذي أعاد حياة الحضارة للإنسان ، سيد احتفالات الثلاثين[1] سنة ، مثل هيبايستوس الأكبر[2] Hephaistos the great ، ملك مثل الشمس

(3) الملك العظيم للدولتين العليا والسفلى[4] ، نسل الإلهة فيلوباتورز Philopatores ، أحد من رضى عنهم هيبايستوس « بتاح » ، الذي أعطته الشمس النصر ، « وهو » الصورة الحية من زيوس[5] ، ابن الشمس ، بطليموس

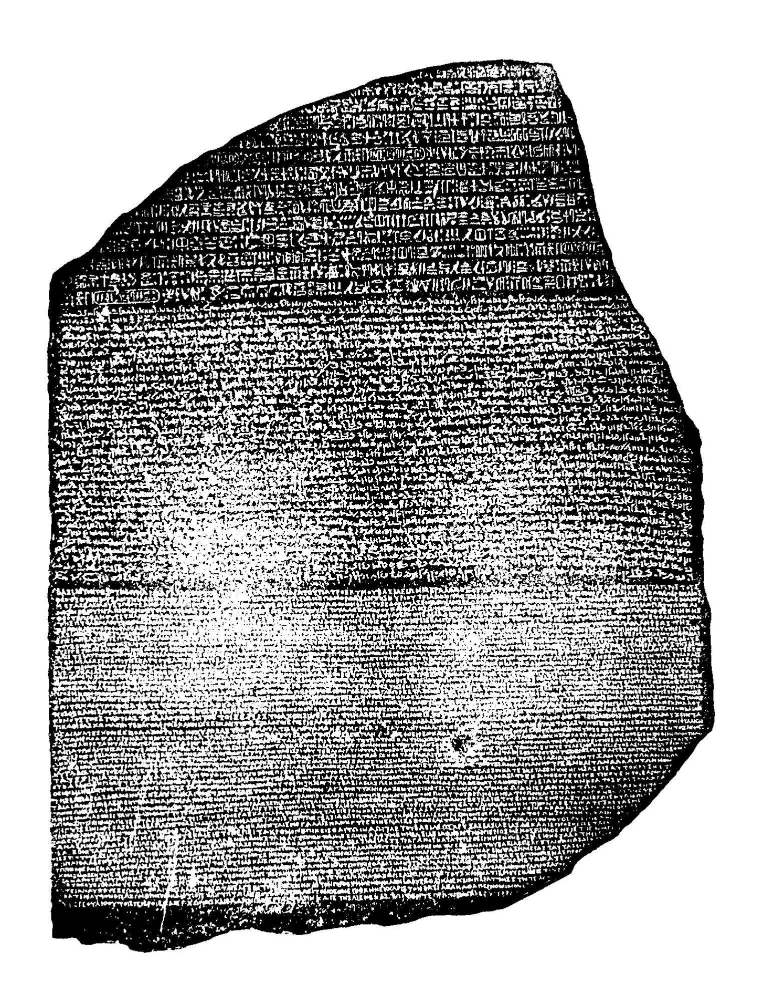
(1) كان هذا الاحتفال عادة ما يعقد على فترات ثلاثين سنة بعد تتويج الملك لتجديد صلاحياته ، (ولعله كان شيئا أشبه بما نطلق عليه اليوم كلمة « يوبيل ») .

(2) بتاح ، في النص المصري .

(3) رع ، في النص المصري .

(4) جنوب مصر وشمالها ، أو مصر العليا ومصر السفلى ، ويجري ذكرهما دائما في الصفات الملكية .

(5) آمون ، في النص المصري .



حجر رشيد

4 – المخلد ، محبوب بتاح . في العام التاسع ، حينما كان آيتوس بن آيتوس كاهن الإسكندر ، وآلهة سوترز Gods soteres ، وآلهة أدلفوي Adelphoi ، وآلهة يورجتاي Euergatai ، وآلهة فيلوباتورس Philopators[1]

5 – والإله إبيفانس يوخارستوس Epiphanes Eucharistos وبيرا Pyrha ابنة فيلينوس Philinos الذين هم أثلوفوروس برنيكة يورجاتيس Athlophoros of Berenike Euergatis وأريا Areia ابنة ديوجينس Diogenes التي هي كانفوروس أرسنوي فيلادلفوس Kanaphoros Arsinoi Philadelphos ، وإيرين Irene

6 – ابنة بطليموس التي هي كاهنة أرسنوي فيلوباتور Arsinoe Philapater[2] وذلك في الشهر الرابع من شهر أكساندكوس Xandikos ، وهو عند المصريين مخير Mekhir الثامن عشر .

مرسوم : اجتمع رؤساء الكهنة والأنبياء وأولئك الذين يدخلون إلى الحرم الداخلي لكسوة

---

(1) الإسكندر الأكبر ، وبطليموس الأول ، وبرنيكة الأولى ، وبطليموس الثاني ، وارسينوي الثانية ، وبطليموس الثالث ، وبرنيكة الثانية ، وبطليموس الرابع ، وأرسنوي الثالثة على التوالي .

(2) كهنة إيبونيموس ، كهنة وكاهنات ، دائما بأسماء يونانية يتعلقون بطقوس ملكية ، وهم الذين قضوا في وظائفهم عاما وانتظموا في معهدين من المؤسسات اليونانية الكاملة .

7 – الآلهة ، وحملة المراوح والكتابات المقدسة وجميع الكهنة الآخرين من معابد الأرض الذين جاءوا لمقابلة الملك في ممفيس للاحتفال بقيام

8 – بطليموس الخالد محبوب بتاح الإله إبيفانس يوخارستوس بالمملكة خلفا لوالده وهم الذين اجتمعوا بالمعبد في ممفيس في هذا اليوم وأعلنوا :

9 – حيث إن الملك بطليموس الخالد محبوب بتاح ، الإله أبيفانس يوخارستوس ابن الملك بطليموس والملكة أرسنوي ، الآلهة فيلوباتورس ، المحسنين للمعابد

10 – ولمن أقاموا بها ولجميع رعاياه الذي هو إله متفرع من إله وإلهة « مثل حورس ابن إيزيس وأوزيريس الذي انتقم لأبيه أوزيريس[1] » فقد صار بحب الخير ميالا إلى

11 – الآلهة ، وقد خصص للمعابد ريعا نقديا وحنطة واضطلع بكثير من الإنفاق من أجل رخاء مصر ، ولإنشاء المعابد

12 – كما كان سخيا بكافة إمكانياته وبالعائدات والضرائب التي جمعها بمصر ، بعضها بالتجاوز عنها وأخرى بالتخفيف منها في سبيل رخاء الناس وجميع الآخرين

---

(1) حورس المنتقم لأبيه باليونانية هارندوتس Harendotes .

13 – خلال عهده ، وحيث أنه أسقط الديون الكثيرة التي استحقت للتاج في مصر وسائر المملكة ، وأولئك الذين كانوا في السجن وكانوا محل اتهام لزمن طويل فقد عفى عن

14 – أوزارهم التي كانت عليهم ، وكان له توجيه بأن تستمر الآلهة في رعاية عائدات المعابد والمنح السنوية المعطاة لها من كل من

15 – النقود والحنطة وكذلك الدخل المخصص للآلهة من الخمور ومن البساتين والمتعلقات الأخرى التي خصت الآلهة في عصر والده ،

16 – كما وجه أيضا بأن الكهنة يجب ألا يدفعوا ضريبة الاعتراف بكهنوتهم بأكثر مما كان مقدرا في عهد والده وحتى العام الأول من عهده هو ، كما أعفى أعضاء

17 – الأوامر الكهنوتية من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية ، وأصدر أمرا بعدم استخدام الأسطول أكثر من ذلك ، أما عن ضريبة خيوط الحرير[1] التي تؤديها المعابد إلى التاج فقد

18 – أسقط ثلثيها ، وأن تعود إلى أحوالها العادية ما سبق تجاهله في الأزمان السابقة ، ومع العناية بأداء الواجبات التقليدية إلى الآلهة بصورة مناسبة .

---

(1) المقصود الكتان الرقيق .

19 – وقد أقر العدالة للجميع مثل هرمس Hermes[1] العظيم العظيم ، كما رسم بأن من يعود من المحاربين وغيرهم من

20 – أيام الاضطرابات[2] يجب أن يسمح لهم بشغل أوضاعهم القديمة ، وحيث انه زود قوات الفرسان والمشاة والسفن فإنها يجب أن يبعث بها خارجا ضد أولئك الذين غزوا

21 – مصر برا وبحرا ، وقد أنفق مبالغ طائلة من المال ومن الحنطة لتأمين المعابد وكل ما على الأرض ،

22 – وليذهب إلى ليكوبوليس « مدينة في المديرية[3] التاسعة من الدلتا ، غالبا قريبا من بوصير – بوسيريس ، بدون تأكيد » التي تم احتلالها وتحصينها ضد الحصار بمخزون كبير من الأسلحة والإمدادات

23 – نظرا إلى طول سخط الكافرين الذين تجمعوا بها ، أولئك تسببوا في خسائر كبيرة للمعابد ولجميع أهالي مصر

24 – الذين ضربوا خيامهم ضدها ، فأحاطها باستحكامات وخنادق وتحصينات محكمة ، وحين فاض النيل فيضانا عظيما في العام الثامن لحكمه ، وهو عادة ما يفيض على

---

(1) في النص المصري توت Toth .
(2) إشارة إلى الأعوام منذ 205 ق .م . التي حكم مصر العليا أثناءها اثنان من الفراعنة الوطنيين المتمردين ، حور ونفر Hor Wennefer التي قرئت سابقا خطأ حور – أم – أخت ، ومنذ 199 ق .م عنخ ونفر التي قرئت خطأ عنخ – إم – آخت .
(3) .

25 – السهول أقام سدودا في نقاط عديدة من مخارج القنوات « وانفق في سبيل ذلك مبالغ غير قليلة » ، وعين فرسانا وجنودا لحراستها ،

26 – وفي زمن قيصر عصف بالمدينة وسحق جميع الكافرين بها ، كما كان من هرمس وحورس ، ابن أوزوريس وقمع المتمردين في ذات

27 – المقاطعة[1] ، وأولئك الذين قادوا المتمردين في عهد والده والذين أزعجوا البلاد وأساءوا إلى المعابد ، فقد جاء إلى ممفيس

28 – ليثأر لأبيه ولمملكته ، وعاقبهم جميعا بما استحقوا ، وفي الوقت الذي جاء إلى هناك ليقوم بالشعائر الصحيحة للاضطلاع بالتاج ، وتجاوز عن

29 – ما كان مستحقا للتاج في المعابد حتى سنته الثامنة ، وهي لم تكن كميات صغيرة من الحنطة والنقود ، وكذا أيضا غرامات الحرير

30 – التي لم تقدم للتاج ، وتلك التي قدمت ، والرسوم المتعددة لمراجعتها ، لذات الفترة ، كما أعفى المعابد من ضريبة المكيال ولكل أَرَوْرَا « مساحة 2735 $م^2$ من الأرض » المقدسة وكذلك

---

(1) طبقا لما جاء في نص أسطوري لأوزوريس ، فقد هزم اتباعه بقيادة حورس وتوت ، هزموا أعوان سيث بالقرب من هيرموبوليس بارفا .

31 – جرة خمر لكل أرورا من أرض الكروم ، وكثيرا ما منح هدايا عديدة لأبيس ومنفيس وللحيوانات المقدسة الأخرى بمصر ، لأنه كان أكثر إنصافا من الملوك قبله فيما يخص

32 – الآلهة ، والمدافن التي أعطاها بالسخاء المناسب والرونق الذي كان يدفع بانتظام إلى مزاراتها الخاصة بالقرابين « الاضحيات » والاحتفالات والرعايات الأخرى المعتادة ؛

33 – كما صان شرف معابد مصر طبقا للقوانين وزين معبد أبيس بأعمال غنية ، وأنفق عليها من الذهب والفضة

34 – والاحجار الكريمة مبلغا ليس بالقليل ، وطالما أنشأ المعابد والمزارات والهياكل ، وأصلح ما يستدعي ذلك ، وله روح إله محسن في أمور

35 – الدين ، وكثيرا ما – بعد التحري – جدد أكثر المعابد المحترمة في عهده ، وفي المقابل أعطته الآلهة الصحة والنصر والقوة وجميع الطيبات الأخرى

36 – وسيحفظ هو وأولاده المملكة دائما بالمال المناسب . وقد قرر كهنة جميع المعابد في البلاد زيادة عظيمة للشرف الدائم

37 – للملك بطليموس المخلد محبوب بتاح الإله إبيفانس يوخارستوس ، مثل تلك التي كانت لوالديه آلهة يورجتاي Eurgetai

38 – إلهة أدلفوي وآلهة سوترس Soteres وليقيم في أعلى مكان من كل معبد تمثالا للمخلد الملك بطليموس محبوب بتاح ، الإلهة إبيفانس يوخارستوس

39 – تمثالا يكرس باسم بطليموس حامي مصر ، وبجانبها سوف يقف الإله الرئيسي للمعبد ، يسلمه سلاح النصر ، الذي سوف يصنع جميعه

40 – بالطريقة المصرية ، وسوف يؤدي الكهنة ثلاث طاعات يوميا ويضعون عليهم الأردية المقدسة وينجزون جميع الأعمال الشرفية الأخرى كتلك المعطاة للآلهة الأخرى في الأعياد المصرية ،

41 – وليؤسس للملك بطليموس ، الإله أبيفانس يوخارستوس سليل الملك بطليموس والملكة أرسينوي الإلهة فيلا باتروس تمثالا وإكليلا ذهبيا في كل

42 – المعابد ، وأن يشيدها في البهو الداخلي مع سائر الأكاليل ، وفي الاحتفالات العظيمة التي تحمل فيها التيجان في موكب فإن تاج الإله أبيفانس يوخارستوس سوف يحمل معها في الموكب

43 – ولكي يسهل توضيح ذلك الآن وفي جميع الأوقات فسوف تقام التيجان العشرة للملك ، التي يضاف إليها ثعبان الكوبرا رمز المُلك

44 – ولكن بدلا من الكوبرا تيجان من التي على الأكاليل

الأخرى ، وفي وسطها التاج المسمى بشنت Pschent[1] الذي لبسه حين ذهب إلى معبد ممفيس

45 – ليقيم لذلك احتفالات ليحمل المملكة على عاتقه ، وسوف يكون مكانه بأعلى الميدان المستدير حول التيجان ، وبجانب التاج المشار إليه سابقا علامات ذهبية « ثمانية رموز »

46 – ترمز إلى تاج الملك للبلدان العليا والسفلى . ومنذ الثلاثين من ميزور mesore التي يحتفل فيها بيوم ميلاد الملك ، وكذا

47 – السابع عشر من باوفي Paophi التي خلف فيها أباه على الملك ، وقد سجلوا هذه الأيام الشريفة كالأيام المذكورة بالمعابد حيث أنها مصادر بركات للجميع ، وقد صدر مرسوم بالاحتفال في المعابد في مصر

48 – في تلك الأيام من كل شهر وتقدم القرابين والأضحيات وجميع تقاليد الاحتفالات وسوف تمنح العطايا للكهنة الذين

49 – يخدمون في المعابد ، وسوف يخصص مهرجان للملك بطليموس المخلد محبوب بتاح الإله إبيفانس يوخارستوس ، سنويا في معابد

---

(1) من المصرية با ـــ سخمتي ، القوتين ، وهو التاج المزدوج الذي يجمع التاج الأحمر لمصر السفلى والتاج الأبيض لمصر العليا .

50 – الأرض من أول توت ولمدة خمسة أيام ويلبسون فيها عقود الزهور ويقدمون الأضحيات والقرابين والخمور الأخرى ، وسوف يدعي الكهنة في كل معبد

51 – كهنة الإله أبيفانس يوخارستوس بالإضافة إلى أسماء الآلهة الأخرى التي يخدمونها ، وسوف تدخل كهنوتية مدعمة بمستنداتها ومنقوشة على الخواتم التي يلبسونها

52 – وسوف يسمح للأفراد أيضا بالاحتفال وإقامة الأكاليل المذكورة سابقا واحتوائها في بيوتهم ، وإقامة الاحتفالات المذكورة سابقا

53 – سنويا ، حتى يصير معلوما للجميع أن رجال مصر يعظمون شرف الإله إبيفانس يوخارستوس الملك ، طبقا للقانون . ينقش هذا المرسوم على نصب

54 – من الحجر الصلد باللغة المقدسة « هي الهيروغلوفية » والوطنية « هي الديموطيقية » وبالأحرف اليونانية وتقام في معابد المرتبة الأولى والثانية والثالثة بجوار تمثال الملك المخلد . ا . هـ

واضح أن هذا المنقوش على الحجر إنما كان مرسوما صادرا عن لجنة من الكهنة من رجال الأكليروس المصريين اجتمعوا من جميع جهات مصر في ممفيس في العيد السنوي الأول لتتويج بطليموس الخامس إبيفانس Epiphanes ملك جميع مصر . وكان تتويج الملك

الصغير في العام الثامن من عهده ومن ثم فقد كان الاحتفال الأول بذكرى ذلك التتويج في العام التاسع ، وعلى وجه التحديد كان تاريخه الواقعي 27 مارس 196 ق . م .

في خلال الفترة البطلمية كانت عديد من المستندات الرسمية باللغة اليونانية ومعها ترجمات باللغة المصرية وذلك بسبب أن البيت الحاكم وكذا الإدارة من رؤساء الضباط الحكوميين كانوا من اليونانيين المقدونيين و لم يكونوا من المصريين وقد انحدر جميع البطالمة من نسل بطليموس بن لاجوس أحد القادة الذين كانوا مع الإسكندر الأكبر ، وكان بطليموس الأول بن لاجوس هذا أول Satrap يعني حاكم على مصر بعد وفاة الإسكندر لصالح أخ غير شقيق للإسكندر هو فيليب أرهيدايوس ، ثم لصالح ابن الإسكندر . ومع عام 305 ق .م كان أخ الإسكندر وابنه قد هلكا في حين كان بطليموس الأول من القوة بحيث انفرد بحكم مصر لنفسه كحصته من تركة الإسكندر واتخذ لنفسه اسم بطليموس الأول سوتر Soter .

ومن المتعذر معرفة ما إذا كان النص الأول على النصب كان هو اليوناني أو المصري ، ولو أن ترجمة كلمة خاصة في القسمين المصري واليوناني توحي بأن النص الديموطيقي هو الذي جاء أولا ثم تم ترجمته . وفي الفقرة المتعلقة بمزار بطليموس إبيفانس وبالتحديد فيما يتعلق بالأكاليل والتيجان والعلامات الهيروغلوفية عنها فقد كانت الترجمة اليونانية مقتضبة شديدة الإيجاز وبدون التفصيل الكبير الذي في النص المصري .

ومع ذلك فحتى لو سلمنا بأن المستند الأصلي هو النص الديموطيقي فإنه يظل في حاجة إلى مصادقة النص اليوناني . والنص يتعلق بالشرف الذي أضفى على بطليموس الخامس من معابد مصر في مقابل الخدمات التي أداها لمصر في الوطن وفي الخارج والامتيازات الكهنوتية ذات الطبيعة المالية التي ذكرت بتفصيل كبير .

هذا هو النص المحفور على نُصُب بطليموس الخامس إيبفانس يوخارستوس المخلد محبوب بتاح .... إلخ . وغني عن البيان أنه من حيث موضوعه فهو نص قليل القيمة ولا يقدم مادة تاريخية لها اعتبارها ، فضلا عن امتلائه بأكاذيب المداهنة التي تبتلى بها عادة الشعوب المتخلفة ، فهو منشئ مصر ، وهو المظفر على أعدائه وهوالذي أعاد للإنسان حضارته وهو الإله ابن الإله محبوب الإله ، في حين أن هذا النصب قد أقيم له عام 196 ق .م وهو ابن ثلاثة عشر عاما قضى منها خمسة أعوام طفلا ثم ثماني سنوات ملكا تحت الوصاية[1] ، ومن المعلوم أنه بعد أن ملك أمر نفسه كان غشوما مستبدا في الداخل وأن مصر فقدت في عهده أملاكها في الخارج « الشام » .

إنه حجر يذكرنا بما نسمعه كل حين من المسئولين الرسميين بالعالم

---

(1) وكما جاء في الترجمة الإنجليزية للسطر الأول من النص اليوناني In the reign of the young one who has succeeded his father in the kingship .

المتخلف أن أي مشروع أو إنشاء أو إصلاح أو فكر أو شبهة في ذلك إنما هو من توجيهات السيد الرئيس أو جلالة الملك المفدى أو سمو الأمير المعظم أو ما شاكل ذلك مما يبعث على أشد الملل ويعكس أقصى وأقسى درجات التخلف التي لم تتقدم عن عقلية نصب الإله إبيفانس يوخارستوس محبوب الإله بتاح الذي اشتهر منذ اكتشافه بعد ذلك بحجر رشيد .

ولكن الأهمية التاريخية الكبرى لهذا الحجر هو أنه كما جاء في السطر 54 من النص اليوناني قد نقش بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، ومن هنا صار مفتاحا لفك طلاسم اللغة الهيروغلوفية التي كانت مزدهرة في عصر ازدهار مصر الفرعونية ثم أسدلت عليها ستائر النسيان والجهالة بعد ذلك فانقطعت الصلة بين الحاضر ومعرفة معنى نقوش ذلك الماضي الزاخر .

لقد كانت آخر مرة استخدمت فيها اللغة الهيروغلوفية على أثر أقيم في 24 أغسطس 394 بعد الميلاد في جزيرة فيلة على الحدود الجنوبية لمصر . وكان آخر نقش على الحجر بالقلم الديموطيقي « وهو آخر الخطوط الثلاثة وأكثرها تشبيكا للحروف التي استخدمها المصريون القدماء » كان تاريخها بعد ذلك بستين عاما – يعني عام 452 م في العهد البيزنطي – ولم يعثر على آثار هيروغلوفية كتبت بعد ذلك . ولكن الكتابة الديموطيقية ظلت مستخدمة بالحبر والفرشاة أو الريشة على البردي قليلا بعد ذلك .

وصمتت مصر القديمة 1370 عاما لأن القدرة على قراءة مخطوطاتها القديمة قد فقدت ، وجميع تلك النصوص الهيروغلوفية الغزيرة التي احتشدت بازدحام على آثارها الحجرية وكذا النصوص الهيراطيقية والديموطيقية الكثيرة على البرديات وألواح الأحجار لم يعد هناك من يعرف قراءة شيء منها حتى صارت شفرة مستغلقة ، ولم تعرف العصور الوسطى الكتابة الهيروغلوفية ولا كانت لها أي عناية بذلك .

إن الجهات التي تستخدم الشفرة تضع لها مفتاحا لحلها حتى يتسنى إعادتها واضحة مقروءة لمن يتعاملون بها ، ولكن قد تتداخل عناصر أخرى مثل مخابرات الدول وأجهزة التجسس مما ليس لديها مفتاح حلها لتحاول قراءة الرسائل الشفرية لغيرها وهذه يقال عنها « فك » الشفرة خلافا للأولى التي يقال عنها « حل » الشفرة . وقد صار فك الشفرة علما من أعقد العلوم وصارت له أجهزته المتخصصة بل وآلاته ، ولذلك فسوف نستعير هنا تعبير « فك » الهيروغلوفية فيما يتعلق بقراءة نُصُب « لوح » أبيفانس الذي هو حجر رشيد – أو في الحقيقة – الذي صارت قطعة منه حجر رشيد .

صفة حجر رشيد

والحجر الذي يزهو به المتحف البريطاني حاليا غير منتظم الشكل ، ذلك لأنه عبارة عن قطعة كبيرة من البازلت من نصب بطليموس الخامس المشار إليه ، لعلها ما بين 62 و 74٪ منه ،وليس هو النصب كاملا ولا هو في حالته الكاملة ، وما ينقص من هذا النصب لم يعثر عليه في مكانه ولا في مكان آخر .

والحجر الذي بين أيدينا اليوم أبعاده ثلاثة أقدام وتسع بوصات طولا وقدمان وأربعة بوصات ونصف عرضا و 11 بوصة سمكا ، بما يعني 114 سم ارتفاعا X 72 سم عرضا X 28 سم سمكا . ويزن 762 كيلو جراما « حوالي ثلاثة أرباع طن » وبه نقص من الركن الأعلى الأيسر وقطاع أصغر من الحافة العليا اليمنى وكذا بالركن الأسفل الأيمن .

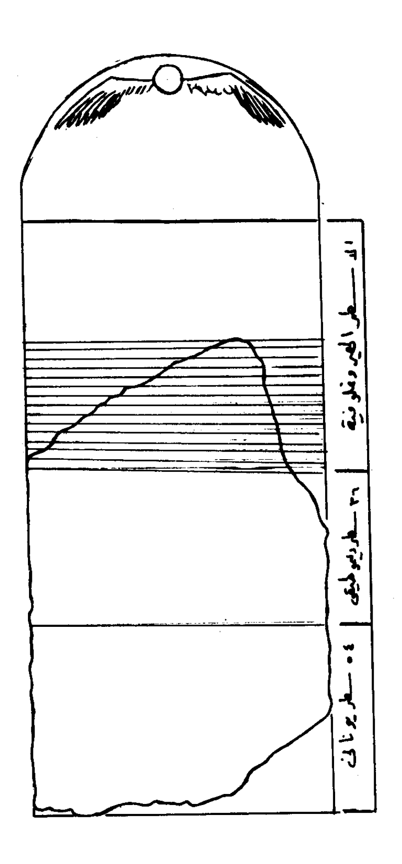
وتذهب نشرة المتحف البريطاني إلى أن أعلى الحجر كان في الغالب مستديرا وذلك قياسا على لوح بطلمي آخر من نمط مشابه كانت منحوته في قطاعها المستدير كقرص مجنح لحورس أدفو بارز أحدهما يرتدي تاج مصر العليا والثاني تاج مصر السفلي وكلاهما يحمل حلقة

ومروحة شعائرية . وتحت هذا القرص المجنح شكل الملك واقفا في حضرة آلهة وإلاهات متعددة ، ومثل هذا المشهد كان في لوح دمنهور الذي يتضمن القسم الهيروغليفي من حجر رشيد . وفي المتحف المصري بالقاهرة بعض الألواح شبيهة بهذه الصفة ، مستديرة من أعلاها .

وحين كان الحجر نصبا تاما فقد قدرت نشرة المتحف البريطاني ارتفاعه بأنه كان بين 5-6 أقدام « 152,5-183 سم » . وكان أثرا بارزا حين كان إلى جوار تمثال الملك الذي نحت لشرفه في المعبد الذي أودع به . وفي شكل رقم « 3 » رسم تصوري لحجر رشيد كجزء من نصب بطليموس الخامس .

والمنقوش على هذا الحجر كتب بلغتين هما المصرية القديمة واليونانية ، ولكن بثلاثة أقلام « خطوط » Scripts ، أولها هو النص المصري وقد كتب بالهيروغلوفية وهو النسخ التقليدي المصور المستخدم عادة منذ الأسرة الأولى قبل حوالي 3000 سنة .

والهيروغلوفية استخدمت أساسا كخط للنقش على الآثار وهي المواد الصلبة ، أو للرسم المتقن بتفاصيل ملونة على المصيص أو الخشب ، وغالبا ما تظهر في العصر الوسيط ، ولكن على أوراق البردي من زمن مبكر ثم حل محلها الهيراطيقية وهي خط مشبك اشتق من الهيروغلوفية .



رسم صورة لحجر رشيد

أما القسم المصري الثاني من حجر رشيد فهو مدون بالديموطيقية ، وهي خط مشبك أكثر تطويعا من الهيراطيقية وقد حل محلها لخط لجميع النصوص الدينية منذ حوالي 643 عاما قبل الميلاد . أما النقش اليوناني فقد كتب بالحروف اليونانية الكبيرة Greek capitals .

وفي النص الهيروغليفي يلاحظ أن أجزاء غير كاملة من الأسطر الأربعة عشر الأخيرة فقط هي التي بقيت وهي التي تقابل الأسطر الثمانية والعشرين الأخيرة من النص اليوناني التي ينقص منها بدوره ركنها الأيمن الأسفل والذي نقدره بحوالي 15٪ من حجم هذه الأسطر وحوالي 9,5٪ من حجم النص اليوناني بأكمله .

أما القسم الديموطيقي فيتكون من 32 سطرا ، وهناك جزء مفقود من ركنها الأعلى الأيمن من أربعة عشر منها نقدره بـ 1,6٪ من مساحة النص .

والنصان الهيروغليفي والديموطيقي على الحجر يقرءان من اليمين إلى اليسار .

والنص اليوناني يتكون من 54 سطرا هي التي فقدت نهايات الستة والعشرين فيها . ولكن أغلب الأسطر المفقودة من القسم الهيروغليفي يمكن تعويضها من نسخة من المرسوم « الأمر » على نصب أكتشف في دمنهور « هرموبوليس بارفا القديمة » عام 1898 م ، وهو محفوظ **الآن بالمتحف المصري بالقاهرة تحت رقم** 22188 . وقد عملت نسخة هرموبوليس بارفا هذه « دمنهور » بعد

14 عاما من نصب بطليموس الخامس الذي هو حجر رشيد يعني في العام الثالث والعشرين من عهد بطليموس هذا ولذلك فقد حذفت منه بعض العبارات التي كانت ذات أهمية في العام التاسع لعهده ثم لم تعد لها تلك الأهمية في العام الثالث والعشرين ولكن ذلك الذي حذف يمكن إعادة تجميعه من القسم الديموطيقي . كما وأن جزءا إضافيا من نص نصب بطليموس يرجع إلى العام 21 من عهد بطليموس الخامس نحت على جدران بيت الميلاد لمعبد إيزيس بجزيرة فيلا .

على كل ، فكما ظهر هذا النصب في عهد بطليموس الخامس عاد فاختفى مع كثير جدا من آثار مصر القديمة فلم يعد أحد يعرفه . وتوالى على مصر نهاية العهد البطلمي ثم العهد الروماني ثم البيزنطي حتى وقع الفتح الإسلامي لمصر وتوالت على مصر دول المسلمين حتى كان العهد العثماني ، ثم جاء نابليون بونابرت بحملته إلى الإسكندرية في 18 محرم 1213 هـ ، 2 يولية 1798 م وزحف منها إلى القاهرة . مكثت هذه الحملة على أرض مصر 3 سنوات وشهرين .

الفصل الثاني

اكتشاف حجر رشيد



اكتشاف حجر رشيد

لسنا بصدد تاريخ الحملة في مصر ، ولكن ما يهمنا من ذلك هو ما يتصل بموضوعنا . ففي منتصف يونية 1799 كان الهدوء الشامل يسود مصر بعد إخماد ثورات الوجه البحري والوجه القبلي وسكون القاهرة ، ولكن كانت نفوس المصريين تغلي في تحفز للهياج وكان هناك دعاة يجوبون القرى يستفزون الناس ، وكان معلوما أيضا أن القوات التركية تحتشد في رودس وفي غيرها لتبحر إلى مصر ، هذا في حين كان شتات المماليك يناوشون الفرنسيين هنا وهناك .

وكلف نابليون الجنرال كليبر بتحصين السواحل الشمالية من الإسكندرية إلى العريش ، كما قام بتوزيع الحاميات على المواقع والثغور فكان الجنرال منوفي رشيد . وأوفد نابليون الجنرال دومارتان ليتعهد حالة الدفاع فيما بين الإسكندرية ورشيد فغادر القاهرة على سفينة مسلحة في النيل ، ولكن الأهالي هاجموها عند طنوب والزعيرة « مركز تلا ، منوفية » فقتلوا عشرة من الفرنسيين وجرحوا أربعين من بينهم الجنرال دومارتان ، واستمر الجنرال في رحلته حتى بلغ

رشيد فمات بها في يولية 1799 متأثرا بجراحه . ثم جاءت الحملة العثمانية فنزلت بشاطئ أبي قير في 14 يولية 1799 وحاصرت قلعتها ونجحت في احتلالها في 17 منه .

في هذا المناخ كان يجري تكملة إنشاء حصن خارج مدينة رشيد . وكلمة رشيد لعلها تعريب لكلمة روزيتا Rosetta بمعنى وردية ، ذلك أن الفيضان حين يحمل طمي النيل ذي اللون الذي تشوبه الحمرة ويلقي به في مياه البحر الزرقاء كان لونه يبدو ورديا . وفي ذلك الوقت كانت المواصلات البحرية بين القاهرة والإسكندرية تتم عن طريق فرع رشيد من نهر النيل وكان يعرف بالفرع البولبتيني Bolbinitic الذي تقع مدينة رشيد قبل التقائه بالبحر بكيلو مترات قليلة وكانت حينذاك مركزا تجاريا يبلغ تعداد سكانها 13000 .

كانت مهمة الجنرال منو حماية مدخل النيل من جهة البحر باعتبار رشيد هي همزة الوصل بين القوات الفرنسية بالقاهرة وبداخل القطر المصري وبين تلك التي بالإسكندرية خاصة وأن الطريق البري كان يتعرض لحركات تمرد الأهالي وهياجهم وقد زاد الأمر سوءا بعد كارثة أبي قير البحرية التي تم تدمير الأسطول الفرنسي فيها . « تاريخ الحركة القومية 237/1 » .

وكان هناك مبنى قديم صدر الأمر لجماعة من الجنود الفرنسيين بتدميره في عملية توسعة لتكملة إنشاء حصن عرف فيما بعد بحصن جوليان Fort Julien على الضفة الغربية « اليسرى » لنهر النيل عند

مدينة رشيد . ولكنهم وهم يفعلون ذلك لا حظوا في صلب جدار ذلك البناء حجرا بازلتيا أسود ، وكان الضابط الذي كلف بذلك التدمير ملازما في سلاح المهندسين اسمه بيير فرانسوا زافير بوشارد Pirre Francois xavier Bouchard, . وقد تحقق زملاؤه الضباط من أهمية ذلك الحجر ونبهوه إلى أنه ذو ثلاث نصوص متميزة في ثلاث مخطوطات بمعنى أن كلا منها ترجمة للآخر ، وأن الأخير منها اللغة اليونانية وبذلك يمكن قراءته ، كما يمكن استخدام ترجمته كمفتاح لفك طلاسم اللغة الهيروغلوفية التي في القسم الأول . وأحيط الجنرال مينو بأمر الحجر فأمر بإجراء ترجمة فورا للتحقق من طبيعة النص ، وبطبيعة الحال تم التحفظ على الحجر ، وأرسل إلى القاهرة ووضع في المعهد القومي الذي كان نابليون قد أنشأه هناك . ولم ينتشر خبر العثور على هذا الأثر ويبدأ الكلام عن أهميته إلا في سبتمبر 1799 في جريدة مصر Coirrier d'Egypt .

وفور وصول الحجر إلى القاهرة في منتصف شهر أغسطس صار مادة لأبحاث متعمقة من العلماء الذين اصطحبهم نابليون معه إلى مصر . وسرعان ما تم تحديد النسخة التي بين الهيروغلوفية واليونانية بواسطة جان جوزيف مارسيل Jean-Joseph Marcel وريمي ريج Remi Raige بأنها الخط المشبك « المتصل » المشتق من الهيروغلوفية المعروف بالديموطيقي أو كما عبرا عنها enchorial ولكن دون أي تقدم في فك رموزها أو رموز القسم الهيروغليفي . وبذلك وقفنا عند

معرفة أنه نص منقوش بثلاث لغات هي الهيروغلوفية والديموطيقية واليونانية ... وكان الله بالسر عليما .

بعد ذلك صدر الأمر بتصوير عديد من النسخ للحجر لتوزع على الباحثين في أوروبا . وكلف بعملها أمهر طباعي المعهد وهما مارسيل ، ا . جالاند A.Galland والأسلوب الذي اتبعاه كان بدهان سطح الحجر بحبر الطباعة ثم تغطيته بفرخ من الورق ثم يجري عليه بعجلات من المطاط الهندي حتى يتم الحصول على طبعة جيدة . وأرسل عديد من هذه الطبعات إلى الباحثين ذوي السمعة في جهات عديدة من أوروبا ، اثنتان منها قدمتا إلى دوثيل Du Theil بالمعهد القومي في باريس قدمهما إليه الجنرال دوجوا Dugua مع عودته من مصر مع الحملة .

إلى إنجلترا

في ربيع 1801 م كان موقف الحملة الفرنسية حرجا وكان وضعها بالقاهرة مهددا ولذلك قرر علماء الحملة مغادرة العاصمة إلى أمان الإسكندرية آخذين معهم مذكراتهم وأوراقهم ونماذجهم وما جمعوا من آثار ، ومن بينها بل أهمها – بطبيعة الحال حجر رشيد . ومن العجيب أنهم لو كانوا بقوا بالقاهرة لكانت معاهدة الجلاء التي أبرمها الجنرال بليار قائد الجيش الفرنسي بالقاهرة في 27 يونية 1801 تتيح لهم الرجوع إلى فرنسا بهذه المتعلقات وقد كان نص المادة 11 من هذه المعاهدة :

« جميع الرجال الإداريين وأعضاء لجنة العلوم والفنون وبالجملة كل الأشخاص الملحقين بالجيش الفرنسي يتمتعون بالمزايا المخولة في هذه المعاهدة لأفراد الجيش .

ولرجال الإدارة وأعضاء لجنة العلوم والفنون أن يأخذوا معهم الأوراق المتعلقة بوظائفهم وأعمالهم وأوراقهم الخاصة والأشياء الأخرى التي تتعلق بهم » .

فهم برحيلهم عن القاهرة إلى الإسكندرية قد خرجوا من تحت هذا النص وصاروا تحت نص آخر بموجب معاهدة الجلاء عن الإسكندرية التي تم الاتفاق على شروطها يوم 31 أغسطس 1801 م ووقعها اللورد كيث والجنرال هتشنسون وحسين قبطان باشا والجنرال منو . وكان طلب الفرنسيين أن يكون نص المادة 16 كالآتي :

« يحق لأعضاء المجمع العلمي المصري ولجنة العلوم والفنون أن يأخذوا معهم جميع الأوراق والرسوم والمذكرات ومجاميع التاريخ الطبيعي وجميع آثار الفنون والعاديات القديمة التي جمعوها في مصر » .

ولكن الإنجليز والأتراك أجابوا بأن : أعضاء المجمع لهم أن يأخذوا معهم جميع الآلات الفنية والعلمية التي جاءوا بها من فرنسا ، ولكن المخطوطات العربية والتماثيل وباقي المجاميع التي جمعت للجمهورية الفرنسية تعتبر من الأملاك العامة ومن ثم تسلم لقواد الحلفاء .

وقد اعترض الجنرال مينو على هذا التعديل ولكن الجانب الإنجليزي صرح بأنه لا يمكن العدول عنه ، واتفق الجنرال مينو والجنرال الإنجليزي هوب على عرض الأمر على القائد العام للجيش الإنجليزي !!

وبموجب هذه الاتفاقية سلم الفرنسيون قلاع الإسكندرية واستحكاماتها ومدافعها والسفن الحربية التي كانت لهم ، ولما جاء دور تسليم مقتنيات أعضاء المجمع العلمي ولجنة العلوم والفنون احتج هؤلاء على حرمانهم ثمرة أبحاثهم وجهودهم واكتشافاتهم ، وأوفدوا ثلاثة منهم وهم جوفر واسان هيلير وسافيني ودي ليل لمقابلة الجنرال الإنجليزي هتشنسون لإقناعه بالعدول عن هذا الشرط ، ولكنه رفض طلبهم ، فأجمعوا رأيهم على الامتناع عن تسليم تلك الكنوز العلمية ، وأنذروا القائد الإنجليزي بإحراقها بدلا من التفريط فيها وتسليمها وبأنهم يلقون على عاتقه تبعة حرمان العلم من هذه النفائس في حالة إصراره على طلبه . وبهت القائد الإنجليزي أمام هذا التهديد ، وقبل مكرها أن يتنازل عن إنفاذ هذا الشرط وترك لهم مقتنياتهم ، ولكنه منعهم من أخذ العاديات التي أرادوا تهريبها معهم ، وحجزها بحجة أنها ملك مصر ، ولكنه لم يردها إلى مصر بل أخذها إلى إنجلترا وعلى رأسها حجر رشيد فأخذت مكانها في متاحفهم . « تاريخ الحركة القومية 253/2 ، 381 » .

تذهب نشرة المتحف البريطاني إلى أن الجنرال هتشنسون استلم

حجر رشيد في آخر أغسطس 1801 ضمن العاديات التي استلمها ، ولكن من حيث أن الاتفاقية تمت في 31 أغسطس وبدأ تنفيذها بتسليم القلاع والحصون والقطع الحربية فإننا نرى أن تسليم الآثار لابد قد تأخر أياما . وقد أرسل هتشنسون بعضها فورا إلى إنجلترا على سفن البحرية الملكية ، كما أرسل بعضها على وسائل أخرى ، ولكن حجر رشيد بالذات لم يغادر مصر حتى وقت متأخر من العام .

كان الحجر حين نقل إلى الإسكندرية قد أودع في الجمرك ضمن حقائب الجنرال مينو بين مراتب مزدوجة وغطى بأقمشة . وفي سبتمر 1801 طالب المقدم تيرنر Turner « لواء بعد ذلك » بحجر رشيد بناء على مواد اتفاقية الاستسلام ولكن القائد الفرنسي رفض أن يسلمه مؤكدا أنه من ممتلكاته الخاصة ، وصار تسليم الحجر تحوطه بعض الصعوبات ولكن تم تسليمه .

كان إدوارد كلارك الرحالة الأثري الإنجليزي شاهد عيان ، وذكر أن الحجر قد أسرع به في شوارع الإسكندرية بواسطة ضابط فرنسي عضو في المعهد وفي حضور وليام هاملتون رحالة أثري إنجليزي آخر ومستر كريبس Cripps وإدوارد كلارك ذاته وفي حراسة حربية إنجليزية .

ونصح الضابط الفرنسي الإنجليز بضرورة نقل الحجر من مدينة الإسكندرية قبل أن تتحقق القوات الفرنسية مما حدث !! يدلنا هذا

على أهمية الحجر لدى جميع الأطراف وحرصها عليه حتى وهي تتنازع فتحاول جاهدة ـ كعلماء ـ أن يجنبوه مخاطر النزاع . الوحيد من الأطراف المعنية الذي كان غائبا هو الإنسان المصري صاحب الحجر !!! . وبمجرد استلام الحجر أقلع به المقدم تيرنر على سفينة البحرية الملكية « المصرية L'Egyptienne » ووصل به إل بورتسموث في فبراير 1802 م ، وفي 11 مارس من ذات العام أودع في المركز الرئيسي لجمعية الآثار بلندن حيث بقى أشهرا قليلة كانت نقوشه تحت اختبار دقيق من مجموعة من علماء اليونانية ومن المستشرقين .

وفي شهر يولية كان لدى رئيس الجمعية أربع صبات من المصيص ، صنعت لجامعات أوكسفورد وكمبريدج وادينبرج وكلية ترينيتي في دبلن ، كما كان لديه نسخ جيدة محفورة من النص اليوناني أرسلت إلى جميع الجامعات والمكتبات والأكاديميات والجمعيات في أوروبا . ومع آخر العام نقل الحجر من جمعية الآثار إلى المتحف البريطاني بلندن حيث نصب هناك وعرض على الفور للجمهور ومازال معروضا حتى الآن .

حين نحت المثّال المصري القديم نصب بطليموس الخامس في ممفيس هل كان يتصور له تلك الرحلة إلى رشيد فالقاهرة فالإسكندرية ثم بورتسموث ثم لندن ؟!

الفصل الثالث

نحو قراءة اللغة



نحو قراءة اللغة

لعل العلامة أثناسيوس كيرشر « 1602-1680 م » كان أول من حاول فك اللغة الهيروغلوفية ، وقد استعان في ذلك باللغة القبطية بافتراض صحيح أن الهيروغلوفية هي مرحلة مبكرة من القبطية . ولكنه باستثناء حرف واحد فقد فشل في محاولته .

والآن صار حجر رشيد هو الحدث العلمي الخارق الذي انشغلت به الجهات العلمية الأثرية والتاريخية والاستشراقية في أوروبا .

قدم الإكليريكي ستيفن وطسون أول ترجمة إنجليزية للنص اليوناني الذي على حجر رشيد سابقا بذلك جمعية الآثار في لندن التي ترجمته في أبريل 1802 م . كما تمت ترجمة فرنسية بمعرفة دوثيل Du Theil مستخدما النسخة المطبوعة بالحبر التي قدمها الجنرال دي جوا Dugua إلى المعهد القومي . وقد أماط دوثيل اللثام عن أن الحجر كان أثرا للشكر من بعض كهنة الإسكندرية أو مكان مجاور إلى بطليموس أبيفانس . ثم ظهرت ترجمة لاتينية لأميلون Ameilhon في باريس بعد ذلك بقليل في شهر يناير .

الترجمة من النص اليوناني لم يكن مشكلة فإن اللغة اليونانية

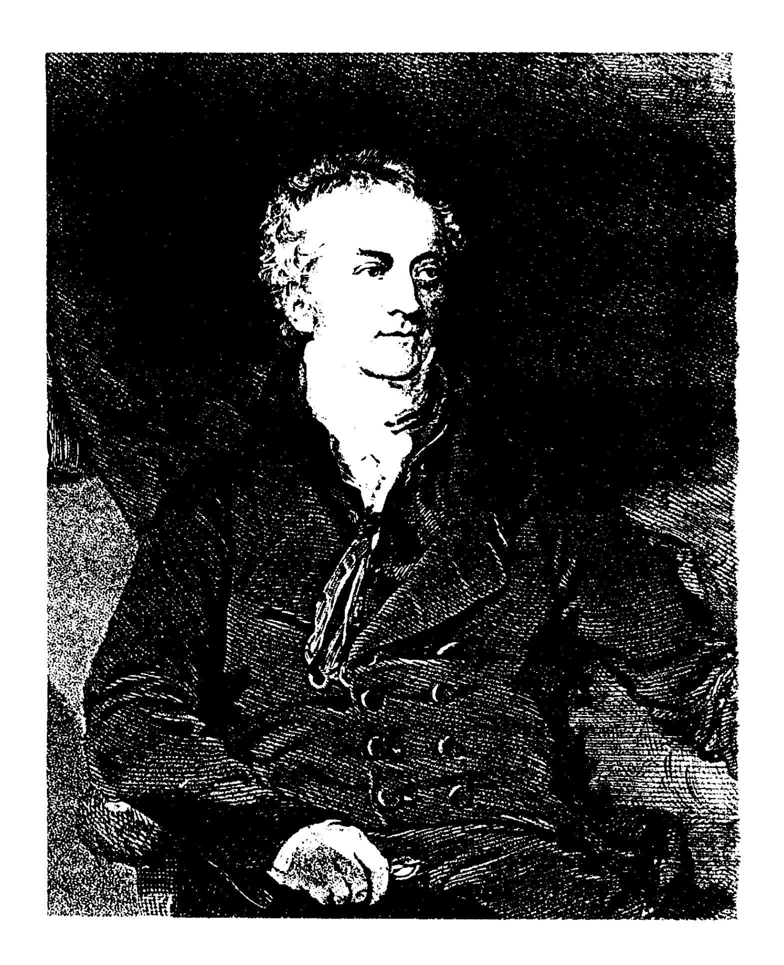
مازالت معروفة ، ولكنها على أية حال كانت هي الخطوة الأولى الضرورية على الطريق . أما الدراسات الأولى للنص الديموطيقي فكانت للمستشرق الفرنسي سيلفستردي ساكي A.I. Silvestre de Sacy والديبلوماسي السويدي أكربلاد J.D.AKerblad الذي وفق في 1802 م في أن يحدد في النص الديموطيقي المقابل لبعض الأسماء الواردة بالقسم اليوناني ، وعلى وجه التحديد أسماء بطليموس وأرسنوي والكسندر والإسكندرية .

وقد دفع أكربلاد بهذه النتائج قليلا إلى الأمام حيث استطاع تحديد جميع الأسماء الواردة في النص الديموطيقي ، وبتمييز الهجائيات المكتوب بها كلمات « معابد » و « يونانيون » وضمير « هـ ، له Him , His » . ولسوء الحظ فقد انزلق سلفستردي ساكي واكربلاد إلى فهم خاطئ لهما كل العذر فيه بأنه مادامت الكلمات الديموطيقية التي فكا طلاسمها كانت مكتوبة بحروف هجائية فإن جميع الكلمات الديموطيقية تبعا لذلك تتكون من حروف هجائية .

وكان الفضل لأول من مَيَّز أن الكتابة المصرية كانت تتكون من أبجدية بالإضافة إلى علامات غير أبجدية إلى العالم الإنجليزي توماس يونج 1773-1829 م ، وهو صاحب نظرية « تموجية الضوء » ، كان يونج طبيبا وعالم طبيعة وله معرفة متمكنة باللغات ، وهو أول من اهتم بعلم المصريات وباللغة المصرية وذلك بعد أن قرأ مقالا عن حجر رشيد ولغته المجهولة . وكان عمله المبكر – كيفما كان – على بردية

جنائزية تالفة مكتوبة بخط مشبك « متصل » أو هيروغلوفية خيطية . ولم يكن قد أخذ نسخة من الخط الديموطيقي لحجر رشيد حتى كان صيف 1814 م فاصطحبها معه في زيارته السنوية إلى ورثنج Worthing على الساحل الجنوبي لإنجلترا وعني أساسا بدراسة النص الديموطيقي . وقد تحقق يونج فورا من خطأ أكربلاد في نظريته عن الأبجدية الديموطيقية ، والأهم من ذلك أنه تحقق من الصلة الوثيقة بين الهيروغلوفية والديموطيقية . كما قادته دراساته المبكرة للمستندات الهيراطيقية والهيروغلوفية المتصلة إلى أن الهيراطيقية كانت خطا مشتقا من الهيروغلوفية .

وكان أسلوبه مع حجر رشيد أن يجد كلمة في النص اليوناني تتردد أكثر من مرة ثم يبحث في القسم الديموطيقي على مجموعة علامات تتردد عددا مساويا « أو تقريبا » . فكان الذي تكرر تقريبا في كل سطر في النص الديموطيقي يجب أن تكون و « and » بعد ذلك كانت الكلمات الأكثر ترددا تتوازى مع كلمات « ملك » و « بطليموس » و « مصر » Egypt,Ptolomy,King ثم كتب اليونانية المقابلة فوق مجموعات الرموز المعينة من الديموطيقية . وهذا هو ذات الأسلوب الحديث الذي يستخدم في فك أنواع من الشفرة هي شفرات التبديل حيث يرمز للحرف بحرف آخر أو رقم أو علامة معينة بدلا عنه . وهنا حصل يونج على تحديدات ديموطيقية محتملة مع كلمات يونانية يمكن ترجمتها مكتوبة باطراد من أول النص



Thomas Young FRS (1773-1829)

الديموطيقي إلى آخره . أما ملء الفراغات فقد كان بالقطع صعبا . كما تسبب في تأخيره أن النسخة ـ كما نراها ـ ناقصة غير كاملة وأيضا فإن النص الديموطيقي لم يكن من الناحية الأدبية ترجمة لليوناني ولا كان اليوناني ترجمة أدبية للنص الديموطيقي . ومع ذلك فلم يمض كثير وقت حتى كان محصول يونج من الكلمات اليونانية ـ الديموطيقية قد بلغت 68 مجموعة من العلامات صحيحة غالبا في تحديد غير صحيح تقريبا على طول الترجمة .

ثم تقدم يونج خطوة أخرى بإقامة الدليل على الحقيقة التي استنتجها من قبل دي جيجنس C.J. de Guignes وزوجا J. Zoega وهي أن الأشكال البيضاوية المستطيلة التي يطلق عليها اسم خراطيش ، في القسم الهيروغليفي من حجر رشيد كانت تحتوي بداخلها على الاسم الملكي ، وهي في حالتنا هنا تخص بطليموس .

ولم تكن اكتشافات يونج قاصرة على حجر رشيد ، ففي عام 1816 حدد ببراعة خارقة من نسخة لنقش بالكرنك خرطوش الملكة برنيكة الذي كان مسجلا جنبا إلى جنب مع خرطوش زوجها الملك بطليموس سوتر Soter . ومن هذين الاسمين استطاع في تحديد صحيح للقيم الصوتية « النطق » لستة رموز ، بالاضافة إلى تحديد صحيح جزئيا لثلاثة رموز وتحديد خاطئ لأربعة رموز . كما نجح يونج في استنتاج أن خرطوشا آخر يجب أن يكون للملك تحوتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشر ، وذلك بأنه ميّز الحرفين « ف »

و « ت » في الأبجدية الهيروغلوفية من استخدامها في النصوص المتأخرة في أواخر أسماء الإناث وكذا للدلالة على الأرقام المتنوعة . وعلى العموم فقد استطاع يونج أن يعادل بصواب تام أو قريبا من الصواب حوالي 80 كلمة ديموطيقية بنظيراتها الهيروغلوفية ، وبمساعدة الكلمات اليونانية فقد ترجم أكثرها . وتحتوي مذكرات يونج الخطية على أكثر أعماله في الهيروغلوفية خلال 1814-1818 ، وهي محفوظة بإدارة المخطوطات في المكتبة البريطانية تحت رقم « Add . MSS 27281-5 » .

من المشهور المتواتر أن شامبليون « الفرنسي » هو الذي فك رموز اللغة الهيروغلوفية ، غير أن المصادر الإنجليزية تحرص على إبراز وتأكيد الأدوار المبكرة « السابقة » في قطع خطوات على هذا الطريق ولاسيما اجتهادات توماس يونج . وقد أطلع يونج نتائج اكتشافاته إلى الباحث الفرنسي فرانسوا شمبليون « 1790-1832 م » ، كما نشرها في مقال ملحق بدائرة المعارف البريطانية في طبعتها الرابعة عام 1819 م ، وبعد عامين كان شمبليون مازال متعلقا بالاعتقاد الخاطئ أن اللغة « الهيروغلوفية كانت رموزا بدون قيم صوتية كما ذكر في مقاله « عن الكتابة المصرية » « De l'ecriture des anciens Egyptiens » التي نشرت في تحقيقات عام 1812 م . ولكن بعد أشهر قليلة من كتابته ذلك المقال وصلته نسخة من نقش مزدوج اللغة ، هيروغلوفية ويونانية على مسلة وقاعدتها مدفونة في فيله عام 1815 من بانكس

W.J.Bankes ، وقد أصاب بانكس في استنتاجه أن واحدا من الخراطيش بالقسم الهيروغليفي يتهجى اسم كليوباترا ، وأشار إلى هذه المعلومة في هامش النسخة المشار إليها التي وصلت شمبليون مؤخرا .

وعندما قارن شمبليون الخرطوش الجديد لكليوباترا لاحظ أن ثلاثة رموز مشتركة في المواضع المتوقعة لها في اسمى بطليموس وكليوباترا كانت تتهجى هجائيا . وكان هذا كافيا لإغرائه على ترك نظريته السابقة أن الهيروغلوفية كانت مجرد رموز وأن يتبنى وجهة النظر أنه على الأقل في بعض الحالات لها قيمة صوتية ، وعلم أن يونج قد توصل قبله إلى هذه النتيجة ولكنه لم ينشرها قط في مطبوع .

وفي سبتمبر 1822 قدم شمبليون رسالته الهامة عن العلاقة بين الهجائية الهيروغلوفية وأصواتها ، وفيها صوّب وزاد كثيرا في قائمة الأصوات الهيروغلوفية التي توصل إليها يونج ، ونجح في فك رموز الأشكال الهيروغلوفية لأسماء وعناوين ألقاب أكثر الأباطرة الرومان على مصر ، وبعد ذلك وقبل الوفاة المبكرة لشمبليون توصل إلى قائمة هيروغلوفية مرتبة ، وقد حدد أسماء عديد من الملوك المصريين واستنبط نظاما لقواعد اللغة grammar وفك طلاسمها . ولم يتمكن يونج أن يحرز أي تقدم بعد أن وجد مفتاح مشكلة فك اللغة بينما ثابر شمبليون ليضع القواعد التي وضعت على أساسها المعرفة الحالية لقدماء المصريين وصار ينظر إليه بحق على أنه الأب لفك الهيروغلوفية .

ولو أن فك الأسماء يقدم المفتاح لنظام الكتابة إلا أنه ما كان ليقدم فهما للغة المصرية القديمة لولا مساعدة اللغة القبطية خطا ولغة للأجيال التالية من المصريين . وبينما كان شمبليون مازال شابا حقق أهمية اللغة القبطية لفك اللغة الهيروغلوفية وقد درسها بغرض أن يتمكن من تحديد ما يتفق من القبطية مع كثير من الكلمات المصرية التي تمكن من قراءتها . وفي دراساته لنقوش حجر رشيد فقد مكنته معرفته بالقبطية أن يستنتج القيم الصوتية لكثير من الرموز الهجائية وأن يحدد القراءات الصحيحة للأبجدية المرسومة التي كانت معانيها معروفة لديه من النص اليوناني .

أسلوب فك اللغة

كان افتراض أن الخرطوش المستطيل البيضاوي يتضمن دائما اسما ملكيا افتراضا صحيحا . كان هناك خرطوش واحد مكرر ست مرات مع تحويرات لا يعتد بها في القسم الهيروغليفي من حجر رشيد ، وهذا كان مفترضا أنه يحتوي اسم بطليموس لأنه كان محققا من القسم اليوناني أن النقش يتعلق ببطليموس . كذلك كان مفترضا أنه إذا كان الخرطوش لم يتضمن اسم بطليموس فإن الهجائية الهيروغلوفية التي تحتويها سوف تقوم مقام أصوات الحروف اليونانية وأنها جميعا معا تقدم الصيغة اليونانية لاسم بطليموس .



Jean-François Champollion

(1790-1832)

جان فرانسوا شامبليون

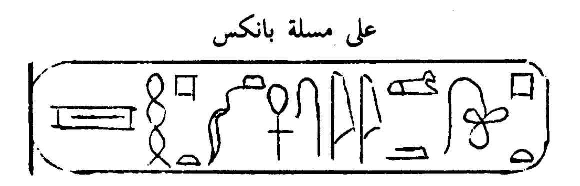
(1832-1790)

وعلى المسلة وكتلة القاعدة التي أحضرها بانكس **W.J.Bankes** من فيلة إلى منزله في كنجستون لاسي بدورست **Dorset** نقش مزدوج اللغة باليونانية والهيروغلوفية ، وفي القسم اليوناني على كتلة القاعدة يوجد اسمان ملكيان لبطليموس وكليوباترا ، وكان في القسم الهيروغليفي من المسلة خرطوشان تكررا معا ، وهذه افترضت أنها تحتوي الهيروغلوفية المقابلة لهذين الاسمين ، وعندما قورن هذان الخرطوشان بالخرطوش الذي على حجر رشيد تبين أن أحدهما احتوى رموزا هي غالبا بذاتها تتطابق مع تلك على حجر رشيد . ومن ثم كان هناك سبب وجيه للاعتقاد أن الخرطوش على حجر رشيد وواحد من تلك التي على مسلة بانكس تضمنت اسم « بطليموس » مكتوبا بالهجائية الهيروغلوفية . وخراطيش الموضوع شكلها كالآتي :

على حجر رشيد



على مسلة بانكس

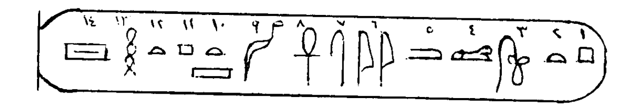


في الخرطوش الثاني نجد أن الرمز يأخذ مكان ثلاث علامات من آخر الخرطوش الأول وهي فالخرطوش الذي على مسلة بانكس الذي كان يظن أنه يحتوي على المعادل المصري لاسم كليوباترا ظهر في هذه الصورة .

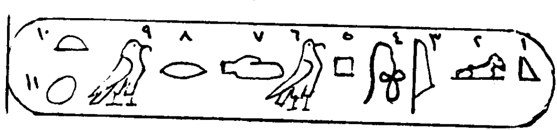


وبوضع أحدهما فوق الآخر تصدق الخرطوشتان احتوائهما على اسمي بطليموس وكليوباترا على مسلة بانكس ، وبترقيم العلامات يحدث الآتي :

ا ــ بطليموس

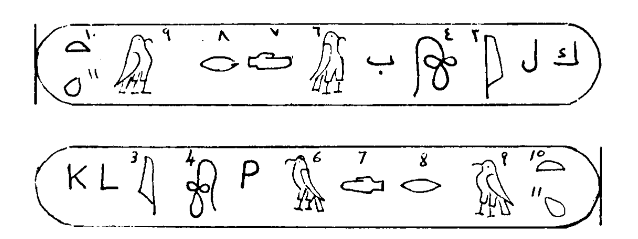


ب ــ كليوباترا



سوف نميز فورا أن ا1 ، ب 5 متشابهان ، ومن وضعهما في الاسمين يجب أن يعبرا عن الحرف پ P .

ا4 ، ب2 أيضا متماثلان ، ومن وضعيهما يجب أن يعبرا عن الحرف ل L . وحيث إن حرف « ل » هو الحرف الثاني في اسم كليوباترا ، فإن الرمز ب ا « » يجب أن يمثل الحرف ك K « كليوباترا في اليونانية » . وحيث إن القيم الصوتية لرموز ب1 ، 2 ، 5 صارت معروفة في خرطوشة كليوباترا فإنه يمكن إبدالها بالطريقة الآتية :



في الصيغة اليونانية لاسم كليوباترا يوجد حرفان متحركان Vowels بين حرف ل « L » وحرف پ P ، وفي الصيغة الهيروغلوفية توجد علامتان ، ، ، وعليه يمكن افتراض أن = E وأن = و O . وفي بعض صيغ خرطوش كليوباترا ب 7

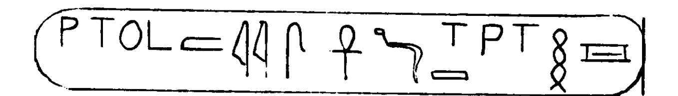
« » استبدلت بـ « » التي تتماثل مع ا 2 ، ب 10 . وحيث إن T هي الحرف الثاني من اسم بطليموس في اليونانية والسابع في اسم كليوباترا فيمكن افتراض أن « » و « » لهما ذات الصوت وأنه هو صوت T « ت أو ط » وفي الصيغة اليونانية لاسم كليوباترا يوجد 2 حرف ا A يتفق وضعهما مع ب 6 ، ب 9 وعليه يمكن افتراض أن لها قيمة حرف ا A . فإذا ما استبدلنا هذه القيم في الهيروغلوفية في ب تكون النتيجة :

ك ل ى و ب ا ط ٨ ا ١٠ ١١

KLEOPAT. 8 A 10 11

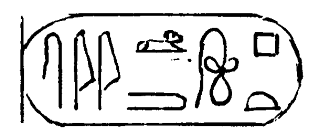
من بين العلامات الباقية آخر رمزين « » رجح المفككون الأوائل – وكان ذلك صوابا – أنهما نهاية لكلمة أنثوية . وكان توماس يونج أكثر صوابا حين اعتبرها تمييز أسماء الإلهات والملكات والأميرات . وأخيرا لم يبق من تلك الرموز في حاجة إلى معادل صوتي سوى ب 8 « » وهذه يجب أن تمثل الحرف ر R ، فإذا ما أدخلنا هذه على خرطوش كليوباترا يكون الاسم بأكمله قد تم فكه .

فإذا ما استخدمنا ما تم اكتشافه من خرطوش كليوباترا في خرطوش بطليموس فإننا نصل إلى النتائج الآتية عبر الترجمة إلى الأحرف اللاتينية بدلا من العربية حيث إن النطق العربي لاسم بطليموس



لا يساعد على ذلك فإن المقابل اليوناني له هو « بتوليميوس » وهو النطق الصحيح وليس « بطليموس » .

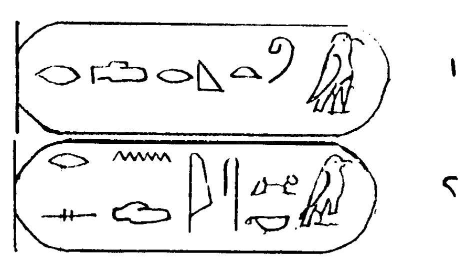
والآن يمكن القول إن الخرطوش يجب أن يكون لبطليمـوس ، ولكن من الواضح كذلك أن في الهيروغلوفية عددامن الرموز لا تكون جزءا حقيقيا من الاسم . وهناك صيغ أخرى لخرطوش بطليموس وجدت على حجر رشيد أبسطها كالآتي :



وبناء على ذلك صار واضحا أن العلامات الأخرى إنما هي ألقاب

ملكية متناظرة مع تلك التي في النص اليوناني بمعنى « الخالد ، محبوب بتاح » . والصيغة اليونانية لبطليموس هي بتوليميوس تنتهي بحرف س S ، ويمكن افتراض أن العلامة الأخيرة لأبسط صيغة للخرطوش كما هو مبين أعلاه لها القيمة الصوتية س S . والآن تبقى الهيروغلوفيات وضعاهما في اسم بطليموس يرشحهما لقيمتين صوتيتين يجب أن تكونا حرف م M وحرفا متحركا Vowel غالبا ما يكون ى I .

تلك القيم التي تم التوصل إليها بواسطة المفككين الأوائل بإعمال التخمين والاستنتاج والإسقاط تم استخدامها في خراطيش أخرى ، مثل :



في رقم 1 يمكن أن نكتب جميع الرموز ما عدا واحدا ، وبالتحديد هو . وحيث إن العلامات الأخرى تتهجى « ا — ت ك ر ت ر » « A- TKRTR » فمن الواضح أنها العنوان اليوناني أوتوكراتور Autocrator وأن العلامة غير المقروءة من قبل يجب أن تكون حرف و U .

وفي رقم 2 بعض الهيروغلوفيات فقط هي المعروفة ، وبالإحلال نحصل على :

AL SE TR

ومن المعروف أن ^^^^^^ تظهر في اسم برنيك وتمثل الحرف ن N ج وأن —H— هي العلامة الأخيرة والكتابة الهيروغلوفية لاسم « قيصروس » ذلك هو « سيزر – يعني قيصر » وعليه فهي تمثل الصوت س S . وبعض الخراطيش تتضمن صيغا متعددة لكليوباترا المكتوبة بالهيروغلوفية تبدأ بالعلامة ، ومن الواضح أن قيمتها الصوتية يجب أن تكون ك K . فإذا أدخلت هذه القيم في الخرطوش أعلاه تكون النتيجة (ALKSENTRS) التي تعني بوضوح اسم الكسندروس يعني الإسكندر Alexander .

على أي حال فما زالت مشكلة الرموز التي في آخر أطول صيغة من خرطوش بطليموس . حتى وإن كان يجب افتراض أنها تمثل ألقابا ملكية « الخالد محبوب بتاح » فهذا افتراض مازال يحتاج إلى إثبات . في اللغة القبطية كان من المعروف أن كلمة « حياة » هي « عُنْخ » التي يظن أنها محورة عن المصرية القديمة « عَنْخ » التي تمثلها

العلامة ، وقد استنتج حينذاك أن العلامة تعني « الأبد » . وهنا كانت القبطية ذات فائدة قليلة بالنسبة للكلمة المصرية القديمة التي لم تعمر . وعلى كل حال فإن العلامة الأولى ظهرت أيضا في مجموعة هيروغلوفية عرفت من اليونانية أنها تعني « سُمِّيَت Called » أو « أطلق عليها » وهي التي تبدأ في اللغة القبطية بحرف ينطق « دج Dj » . ولما كان الرمز الثاني معروفا أن له صوت T فإن الكلمة « أبد Ever » خمن أن تكون دجت Djet . والعلامة الثالثة مُحَدِّدَة « علامة تحديد » وليست حرفا منطوقا . وعلى ذلك يكون اللقب الأول يعني « الحي إلى الأبد ـ أو المخلد ـ الخالد » .

ومن العلامات التي ما زالت باقية الأولى لها قيمة ب P والثانية ت T وهما الحرفان الأولان من اسم الإله بتاح PTAH ، وعلى ذلك فإن العلامة الثالثة يجب أن يكون لها صوت « ح H » وإذا صارت الرموز تكون اسم بتاح فإن العلامة التالية يجب أن تعني « محبوب » ، وهنا قدمت اللغة القبطية للمفككين الأوائل مساعدة لتحديد قيمة صوتية للعلامة ، لأن الكلمة القبطية التي معناها « يحب » هي « ميرMere » فافترض أن القيمة الصوتية لهذه العلامة كان مير . وعند هذا المنعرج يجدر الإشارة أن أكثر القيم المفترضة للهيروغلوفية بواسطة رواد فكها الأوائل كانت صحيحة فيما يتعلق بكتابة الأسماء اليونانية بخط مصري . وفي

الهيروغلوفية المصرية التقليدية فإن الرمز [hieroglyph] هو في الواقع يمثل القيمة د D وليس ت T ، وبالمثل فإن [hieroglyph] ليس هو ك K ولكنه أقرب إلى ق Q . وقد أقر شمبليون بهذا الضعف حين شرح محاولاته الأولى وأخذ المشكلة في حسابه في أعماله اللاحقة . ولذلك فبناء على معرفته باللغة القبطية استطاع شمبليون بمقارنة النصوص التي تتضمن أشكالا متنوعة واستخدامات حاذقة في تكوين نظام فك اللغة المصرية الهيروغلوفية الذي هو قائم إلى اليوم .

الفصل الرابع

اللغة المصرية القديمة



لم نستهدف مما سبق متابعة عملية فك اللغة الهيروغلوفية حتى تم ذلك ، وإنما قصدنا إلى شرح أسلوب عملية الفك .

ولم يكن الفك المبكر ليستقيم كله على أساس أن الهيروغلوفية لغة كتبت بأحرف لغة أخرى وبعض النعوت التي يمكن استنتاجها ، ففي العصر البطلمي كانت الهيروغلوفية قد تحجرت حتى أن الكلمات وقواعد اللغة التي كانت مستعملة للتعبير صارت مزعجة في تصوير الكلمات والقواعد المندمجة في الديموطيقية المعاصرة لها . وعلى سبيل المثال ، في القسم الهيروغليفي من حجر رشيد ، الكلمة المستخدمة للتعبير عن « ملك » هي العنوان الذي يرجع إلى بداية الفترة الوراثية ، وبالتحديد « الذي هو من البَرَدي والنحلة » ، ذلك أن نبات البردي كان هو رمز مصر العليا وهو كل ما كان جنوب الدلتا ، والنحلة رمز مصر السفلى وهي الدلتا ، وكانت تعني « الذي أحكم قبضته على مصر كلها » . أما في القسم الديموطيقي فكانت الكلمة المستخدمة المقابلة لها هي « فرعون » ، حرفيا « البيت العظيم » أو

« القصر » والتي صارت مع امتداد الزمن ومنذ المملكة الحديثة تعني شخص من سكن القصر ، يعني الملك .

في القسم الهيروغليفي عبر عن اليونانيين بالتعبير القديم « هاونبو Haw ne Bu » يعني « الإيجيون – نسبة إلى بحر إيجة — أو الجزائريون – نسبة إلى جزائره » ، ولكنهم في الديموطيقية يسمون « وين Wynn » تعبيرا عن الأيونيين لأن اليونانيين الشرقيين كانوا هم الذين اتصل بهم المصريون أكثر من غيرهم في الفترة الأخيرة .

وهذا مثال بسيط ولكنه معبر عن الفوارق بين النصوص الهيروغلوفية والنصوص الديموطيقية نستخلصها من كلمات « نُصُب من الحجر الصلد » .

	نُصُب	من	الحجر	الصلد
الهيروغلوفية	أهاي	نتي	آت	ردج
	ahay	nty	aat	Rudj
الديموطيقيـة	ويت	إني	دجري	
	wyt	iny	djery	

وكان الباحثون قادرين على أثبات أن الهيروغلوفية تنقسم إلى نوعين ، صور « أو علامات » صوتية ، وصور كلامية « أو علامات إحساس » معنوية وفي الحقيقة فإن بعض الهيروغليفيات يمكن أن تكون صوتية أو معنوية في ظروف مختلفة . فالهيروغليفيات الصوتية

التي تستخدم لهجاء الكلمات بعضها هجائي مثل « هـ h » ، « ب b » ، « ف f » ، « م m ، ج g » .

وغير هذه ثنائية الحروف بمعنى أنها ذات قاعدة من حرفين صامتين « ساكنين » مثل « جم gm » ، « ون wn » ، « ب ر pr » .

وبعضها ثلاثية ، بثلاثة حروف ، مثل :

« نفر nfr » ، « حتب ḥtp » « س د م sdm » .

ولم تظهر الخطوط المصرية حروفا متحركة حقيقية vowels ، فقط شبه متحركة أو ساكنة ضعيفة ، وعلى وجه التحديد « i » ، « ي y » ، « و w » .

وهناك اثنان ليس لهما شبيه في اللغة الإنجليزية ذوا أصوات تشبه حروف العلة وهما « (3) ، (ع) » وغالبا ما يمثلان حرف ا a .

أما العلامات المعنوية فتشير إما إلى شيء حقيقي مثل « الشمس » أو « بلدة التل » ، وفي الحالات التي يعقبها عادة شرطة قائمة ومنفردة ، مثل « شمس » ، أو إذا كانت لفظة مؤنثة يتبعها « » ت t وشرطة مثل « بلدة التل » .
وأحيانا يرمزون الفكرة بتزاملها وارتباطها بالشيء الوصفي المرسوم ، وعليه فإن الشمس يمكن أن تمثل « يوم » ، فالعلامات المعنوية

ideograms يمكن أن تمثل بشكل محدد كلمات يمكن هجاؤها صوتيا . والشمس « ◎ » يمكن أن تكون التحديد لـ ر ك rk « وقت » ، و ب ن wbn « يشرق » أو ت 3 t 3 « لحظة » . وقارب على ماء يمكن استعماله لتحديد كلمات مثل د ب ت dpt « قارب » ، ح ب h d « يبحر شمالا » ، أو iw « y » يعني أن يكون بلا قارب .

وفي حالة تشابه نطق الكلمة مع اختلاف المعنى homonyms تكون الكلمات الباته determinative فقط هي التي توضح المعنى المقصود . فمثلا ن ف ر ت nfrt مع الكلمات الباته المتنوعة قد تعني « أشياء طيبة » ، أو « قطيع » ، أو « امرأة جميلة » ، أو « اسم العالم السفلي » أو « قبر » .

وكلا من العلامات الثنائية والثلاثية عادة ما تكون مصحوبة بأبجدية هيروغلوفية توضح جزءا – أو جميع – قيمتها الصوتية ، وأحيانا فإن هذه التكملة الصوتية تكون غير لازمة كما في كتابة التي تقرأ نفر nfr وليس نفر فر . ولكنها بوجه عام تكون ضرورية في كلمات مكتوبة بعلامة تحتمل أكثر من قراءة صوتية ، مثل العلامة التي يمكن أن تقرأ مر mr أو 3 ب ، 3 b ، والتكملة الصوتية هي التي توضح تماما أي القراءتين تكون ،

هل هي ... أو ...

ويوضح ما تقدم نموذج من جملة هيروغلوفية :

كت نت تم ردى بر هف٣و م ب ٣ ب ٣ و

Kt nb tm rdi pr hb3w m b 3 b 3 w

Ket neb tem redi per hefaw em babau

« علاج آخر لمنع ثعبان من الخروج من جحره » .

نقش هيروغليفي « مثل النصوص المكتوبة بالخط الهيراطيقي والديموطيقي » . والهيروغلوفية تقرأ عادة من اليمين إلى اليسار . وقليلا لأسباب تتعلق بالرسم يمكنهم أيضا أن يكتبوها من اليسار إلى اليمين أو في أعمدة رأسية تقرأ من أعلى إلى أسفل طبقا للمتطلبات المعمارية . وعادة ما يقرأ النقش من الاتجاه الذي تتجه إليه علامات الكائنات الحية ببصرها ، ففي الجملة المذكورة تنظر المخلوقات إلى جهة اليمين وعليه فإن هذا النص يقرأ من اليمين إلى اليسار .

لعله صار واضحا الآن مقدار صعوبة هذه اللغة . من العلامات ما يرمز إلى حرف ومنها ما يرمز إلى حرفين ومنها ما يرمز إلى ثلاثة أحرف ومنها ما يرمز إلى كلمة ومنها ما يرمز إلى كلمة من بين عدة بدائل .

ـ وهذا ما نذكره الآن بعد أن تم اكتشافه منذ أقل من قرنين من الزمان ، أما أولئك العلماء المكتشفون الأوائل الذين اضطلعوا بهذه المهمة الصعبة حقا فكم لاقوا من صعوبة وكم استخدموا ذكاءهم لفك رموز الهيروغلوفية التي تزيد صعوبة عن أي شفرة أخرى .

الكتابة الهيروغلوفية :

فالكتابة الهيروغلوفية إذًا هي نظام يستخدم الحروف في صيغة صور وعلامات مفردة ، ربما قرئت كصور أو كرموز عن صور أو عن رموز لأصوات .

يقول زكي شنودة « كانت الكتابة في أول الأمر عبارة عن صور للأشياء ينقشها المصريون ليذكروا بها كلا من هذه الأشياء على حدة ، ثم توصلوا عن طريق الصور المتتابعة إلى تسجيل فكرة كاملة يريدون التعبير عنها ، ثم تمكنوا بتطوير تلك الصور من تدوين بعض المقاطع والكلمات ، وما فتئوا ينتقلون في هذه المجالات من مرحلة إلى مرحلة حتى وصلوا أخيرا إلى العناصر الأولى للكتابة وهي الحروف الأبجدية وكان عددها أربعة وعشرين حرفا » .

[تاريخ الأقباط 71/3]

وكلمة هيروغلوفية هي اسم عن كلمة يونانية بمعنى النقش المقدس . وقد ذكرت لأول مرة في كتابات ديودوروس سيكولوس في القرن الأول قبل الميلاد . وقبل ذلك تناول يونانيون سابقون ذكر

علامات مقدسة في إشارة إلى الكتابة المصرية . وذكر اليونانيون أن الهيروغلوفية هي الخط الذي وجدوه على جدران المعابد والآثار عامة والتي كانت حروفها صورا نقشت على حجر .

وقد ميّز اليونانيون هذه الكتابة عن صيغتينَ أخريين من الكتابة المصرية تكتبان بالحبر على البردي والأسطح الناعمة الأخرى ، هاتان كانتا الهيراطيقية التي استخدمت حتى عصر اليونانيين القدماء للنصوص الدينية ، والديموطيقية وهي الخط المتصل [المشبك] المستخدم للمستندات العادية .

وعليه ، فإن الهيروغلوفية بمعنى الكلمة تعني فقط الكتابة المصرية المنقوشة على الآثار . ومن أجل شكلها التصويري – الذي مرت بنا نماذج منه – كانت الهيروغلوفية صعبة في كتابتها فلم تستخدم إلا في النقش على الآثار الحجرية التي أريد لها الدوام ، ولكن بين الأنظمة الحية للكتابة لم تعد الهيروغلوفية تستعمل .

نشأة الهيروغلوفية وتطورها :

إن الذي أدى إلى ابتكار الكتابة الهيروغلوفية كان الحاجة إلى تمثيل تصويري لحدث موضوعي محدد مثل صيد أو معركة تقليدية . وقد أضافت الهيروغلوفية أن هذا الشكل المرموز له بأشكال مصورة هو حرب بعينها أكثر مما هو حرب غير محددة بشكل عام ، فكان تسجيل أحداث بذاتها هو الذي قاد إلى ابتكار الكتابة الهيروغلوفية .

وكان ظهور هذا النظام للكتابة مرتبطا مع رسم بارز ليشرح أسماء الأماكن . وبدءا من الأسرة الأولى عام 3100 ق م كانت تصاوير الأشخاص تشرح بأسمائها أو صفاتها في خطوة أخرى نحو توضيح الشخص وتمييزه عن أي نظير . وكانت الألواح التاريخية للأسرتين الأولى والثانية عبارة عن تمثيل أو تصوير لأحداث سنة مع أسماء أشخاص بذواتهم وأماكن وأحداث . فمثلا يرسم منظر لانتصار الفرعون على الأعداء ، ومعه تعليق « الذكرى الأولى لهزيمة الليبيين » . وقد عاصر ذلك بداية ظهور كتابة المصريين غير مصحوبة بالتمثيل التصويري . كذلك ظهرت الأختام الأسطوانية وهي أحجار مقطوعة في شكل أسطواني كانوا يجرونها على الفخار الرطب لسدادة بلاص ، وذلك لمنع استلاب محتوياته ولذكر تلك المحتويات وتحديد المسئول عنها ، وفي جرار الخمر كانوا يسجلون اسم المزرعة ومحطة وصول السفن واسم الملك .

[دائرة المعارف البريطانية 854/8]

وقد استخدم المصريون الكتابة قبل غيرهم من الشعوب بنحو ألفين وخمسمائة من السنين ، وقد بدأت الكتابة المصرية مع بداية التاريخ المصري بل إن التاريخ المصري لم يبدأ إلا بها . وابتكر المصريون الكتابة قبل توحيد الوجهين على يد الملك مينا بنحو ألف سنة .

وعن تأثير الهيروغلوفية في اللغات الأخرى تذهب دائرة المعارف

البريطانية إلى أنه يستحيل إثبات علاقة بين الهيروغلوفية والحروف المسمارية القديمة التي استخدمها السومريون في جنوب العراق ، فإن كل الكتابتين قد أسست على نظم تختلف تماما عن الأخرى . [854/8] بينما يقول زكي شنودة إن الحروف الهيروغلوفية لم تلبث أن انتقلت إلى شرق آسيا [لعله يقصد غربها] فأخذت عنها الحروف الفينيقية ، ثم انتهت بعد ذلك إلى أوروبا فكانت هي الأصل الذي أخذت عنه الحروف اليونانية ثم الحروف الرومانية التي عرفت باللاتينية .

[تاريخ الأقباط 71/3]

ويرجع تاريخ أقدم هيروغلوفية معروفة إلى نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد – يعني منذ حوالي 6000 سنة – وهي عبارة عن شروح أو حواش لمنحوتات بارزة على ألواح من الأردواز في معابد أو قبور ، وقد استنتج منها أن الهيروغلوفية كانت منذ نشأتها علامات صوتية ، فلا كانت نظاما قاصرا على كتابة الصور ولا كانت تقدما من الصور إلى الحروف .

ومن النقوش الحجرية للأسرة الأولى لم يعرف سوى أسماء الأشخاص وعلى وجه التحديد أسماء الملوك . وقد وصلت إلينا من عصر الملك مينا مجموعة كاملة من الأدوات الكتابية التي استخدمها الموظفون في إعداد السجلات الملكية ، كما وصلت إلينا أسماء ملوك حكموا قبل مينا وكذا صور ورسوم سابقة على عهده تمثل بعض

الحروف الأبجدية .

[تاريخ الأقباط 71/3]

وفي آخر الأسرة الثانية جرت بعض العبارات عن الزمن السابق . كما يفيد اكتشاف لفافة بردية خالية في قبر موظف كبير أن النصوص المطولة يمكن أن تكون كتبت في عهد سابق ، ربما منذ فترة مبكرة من الأسرة الأولى .

وكانت الهيروغلوفية في الفترة الغابرة من الأسرتين الأولى والثانية متناسبة تماما مع أسلوب الفن في ذلك العصر ، وقد تشكلت الكتابة بسرعة متأثرة بالمرئيات ، فمثلا العين والفم نقشت فقط كمنظر أمامي . أما الهيكل المميز للكتابة الهيروغلوفية المصرية فقد قام في الأسرة الثالثة ثم استمر رعايته حتى آخر استخدام هذه الكتابة .

وبقيت العلامات الهيروغلوفية التي تمثل صورا لكائنات حية أو أشياء جمادية على علاقة لصيقة بالفنون الجميلة ، فكانت أساسيات الكتابة والفن ذات نماذج واحدة ، ذلك أن ذات الحرفيين الذين صوروا الفن هم الذين نقشوا الكتابة . وإذا حدث تحول فإنه كان يحدث في الاثنين ، فمثلا صورة الوجه الذي كان بالمواجهة تحول فصار لا ينقش إلا جانبيا « بروفيل » وصارت الأشكال تظهر مرتبة أو رشيقة أو ممتلئة طبقا للنمط الفني للفترة .

وسائل الكتابة الهيروغلوفية :

كما ذكرنا كانت الكتابة التاريخية نقشا على آثار حجرية . وظهرت

مهارة الحِرَفي المصري القديم في الكتابة البارزة سواء كانت ناتئة أوغاطسة وذلك فيما بين عام 2800 قبل الميلاد حتى عام 300 بعد الميلاد . كما ظهرت أحيانا في شكل صبات جصية أو حفرا على الخشب أو حشو للخشب ، وكل ذلك كما ذكرنا كان مسايرا للفن الجميل وقام بها ذات الحرفيون .

أغراض الكتابة :

وجدت النصوص الهيروغلوفية ابتداء على جدران المعابد والمقابر والنصب التذكارية وشواهد القبور وعلى التماثيل والأكفان وجميع أنواع الأوعية والمعداث . واستخدمت الكتابة الهيروغلوفية على الأكثر في النصوص الدنيوية للنقش التاريخي والأغاني والوثائق القانونية والعلمية ، وكذا الموضوعات الدينية مثل الطقوس والعبادات والأساطير والترانيم ونقوش المقابر بجميع أنواعها والصلوات .

تلك النقوش كانت هي الكتابة الزخرفية التذكارية وهي لا تناسب الأغراض اليومية ، أما للاستخدام الشعبي فقد ظهر الخط الهيراطيقي وهو صيغة موجزة لصورة العلامات مثل تلك التي تظهر في الكتابة بالفرشاه والحبر على أسطح ناعمة مثل البردي والخشب والحجر الجيري .

وكانت الرموز التي لها معنى ديني توضع دائما أمام علامات أخرى حتى ولو كانت تقرأ بعدها . وكذلك الكلمة الهيروغلوفية عن

« الله » أو عن أي إله ، وكذلك الكلمة عن الملك أو القصر . فمثلا العلامتان تشيران إلى الكلمة المركبة « خادم الله » يعني الكاهن ، تكتبان بحيث تأتي علامة الله أمام علامة خادم ولو أن الكلمة المقدمة هي التي تقرأ آخرا .

معرفة القراءة والكتابة بالهيروغلوفية :

كانت الأمية بالهيروغلوفية منتشرة . دائرة محدودة هي التي كانت تعرف الخط ، أولئك الذين كانوا يحتاجون تلك المعرفة في مهنهم ، على سبيل المثال الأطباء والكهنة ورجال الدولة الرسميون والحرفيون الذين تطلب أعمالهم صناعة النقش .

وفي العهد اليوناني وكذا الروماني انحصرت تلك المعرفة في المعابد حيث كان الكهنة يعلمون تلاميذهم الكتابة الهيروغلوفية . ولكن منذ العهد البطلمي [305-30 ق م] ضاق الوعي القومي عن ذي قبل وصار الخط اليوناني هو الأبسط والأكثر إقناعا ، ولكن ظلت للهيروغلوفية قيمة عاطفية وارتباط ديني في ظل الحكم الاستعماري الأجنبي اليوناني ثم الروماني .

اللغة في مصر المسيحية :

في القرنين الثاني والثالث تحولت البلاد نحو المسيحية ، وقد حارب الدين الجديد الشرك والتقاليد ، وبانتصاره غلب الخط اليوناني ، فمنذ

البداية استخدم المصريون النصارى الهجائية اليونانية لكتابة لغة كلامهم وقد تم توسيع قاعدة هذه الهجائية بإضافة خمسة أحرف لصوتيات ليست في اللغة اليونانية . ونتج عن ذلك تدهور سريع للكتابة الهيروغلوفية . وآخر شاهد موجود لنظام الكتابة الهيروغلوفية هو نقش صخري في جزيرة فيلة يرجع تاريخه إلى 24 أغسطس 394 م من عهد الإمبراطور تيودوسيوس الأول . اللغة ونظام الكتابة الخاص بالنصارى المصريين عرف بالقبطية .

حروف الكتابة الهيروغلوفية :

لنظام الكتابة الهيروغلوفية شكلان أساسيان ، الأول أشياء تعبيرية ترسم كالصور [صور معنوية] ، والثاني علامات مصورة ذات قيمة صوتية للكلمات عن الأشياء التي تصورها [صور صوتية] . وفي ذات الوقت فإن هذه العلامات تكتب أيضا للدلالة على جناس بمعنى أن تكون كلمات متشابهة في صوتياتها – في نطقها – متجانسة مع أخرى لفظا ومختلفة معنى .

وقد تجاهلت الكتابة المصرية القديمة الأحرف المتحركة ، شأنها في ذلك شأن اللغة العربية ، وفي زمن مبكر كان هذا يصح أيضا على الأحرف شبه المتحركة i,y,w ، وبذلك تفتح المجال لاختلاف النطق للكلمات المكونة من أحرف صامتة . فمثلا علامة « خشب » تكتب كغصن وتنطق كأحرف صامتة ح ، ت التي تجري

على الكلمة المصرية عن « خشب » . وهناك كلمات أخرى لها ذات السياق من الأحْرف الصامتة يمكن أن تكتب أيضا بذات العلامة الأساسية ، مثلا ح ت « بعد » ، ح ت ي « يتقهقر » ، أو ح ت ي « ينحت » . فالكلمات المؤلفة من حرف صامت واحد بالإضافة إلى واحد أو أكثر من الحروف المتحركة كانت تزوَّد بعلامة حرف صامت مفرد . و لم يختصر المصريون كتابتهم أبدا إلى هجائية بالتخلص من العلامات متعددة الحروف الصامتة ، وعليه فقد أبقوا على الشكل الأصلي للكلمة . وحين يجري الشك كما في حالة العلامات الثلاث لتكرر الأحرف الصامتة التي نسقها م + ر [الجاروف ، والأزميل ، والهرم] فإن التعدد كان يستخدم لتوضيح الفروق بين الكلمات ، فكل اشتقاق من الأصل م ر « يحب » كانت تكتب مع الجاروف ، وتلك التي مع الأصل م ر « يمرض » تكتب مع الأزميل ، أما تلك التي تتصل بالأهرام فتكتب مع علامة الهرم ، وعليه فإن علامتين أو أكثر لذات الصوت [النطق] أو تركيبة الأصوات قد استبقيت واستخدمت في تحديد وتقديم قراءة أيسر . ولو أن كل علامة لها في الأصل قراءة واحدة إلا أن الغموض العارض قد ظهر خلال تحويل علامتين من ذات الشكل ، ولذلك فقليل من العلامات كانت لها قراءتان أو ثلاث في الكتابة المصرية القديمة .

مساعدات ومُكَمِّلات ومُخصِّصَات :

بهذا النظام من ألغاز الصور المقروءة الذي امتزجت فيه الحروف

بالصور استطاع المصريون أن يكتبوا عددا كبيرا من كلمات لغتهم . ولكن بقيت بقية لم تظهر لها كلمة مرسومة مع ذات إطار الحرف الصامت . مثلا ن ح ت n h t « قوي » ، هنا تهجي المصريون الكلمة فكانت ن علامتها رمز الماء [من كلمة ن و ى « فيضان »] ، وبشأن ح ت كانت عندهم العلامة المشار إليها سابقا عن خشب وهكذا استطاعوا كتابة ن ح ت هكذا .

وسرعان ما أضيفت مساعِدتان إلى نظام الكتابة للتحديد ولتسهيل القراءة . فكما ذكرنا سابقا أن كلمة « يمرض » [م ر] كانت تكتب وفيها البومة بأعلى اليمين للقيمة الصوتية م والفم عن القيمة ر ثم الأزميل لتمييز أنها م ر يمرض وليست م ر يحب أو م ر الهرم . كما كانت علامات الحروف الصامتة تتعدد في الكتابة لتقوم بدور التكملة الصوتية ، وبذلك كانت تكتب مرتين ولكن لا تنطق إلا مرة واحدة ، ولإيضاح ذلك نسوق هذا المثال فيما يتصل بكلمة ح ت = خشب ورسمت ، ولكن المصريين كمساعد للقراءة كتبوا فاستكملوا كلمة بعلامتين = ح و = ت .

وإضافة إلى ذلك – وأيضا لتسهيل القراءة – فقد استعملوا العلامات الحاسمة ، determinatives وهي علامات صامتة ليست لها قيمة صوتية ولا ينطقها القارئ ولكنها تفيد في تحديد المعنى الذي تعنيه الكلمة ، فمثلا مجموعة الأحرف الصامتة ح ت ي « يحفر »

كانوا يرسمون بعدها سكينا ، ، ولكن ح ت ي « يتراجع » كانوا يرسمون بعدها أرجلا متباعدة ، وبذلك فكل كلمة مصرية لها صورة كتابتها التي تقترن بها .

خلاصة أشكال العلامات :

وعلى الإجمال فإن الهيروغلوفيات يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات ، اثنتان منها ترجعان إلى قيم صوتية ، في حين تقدم الثالثة مساعدات صامتة للقراءة :

(1) صور معنوية أو علامات تقرأ ككلمة تمثلها مثل « فرع » .

(2) صور صوتية لا تعني الأشياء التي تصورها إنما تعني حرفا أو أكثر من الحروف الصامتة مثل تعبر عن ن ، تعبر عن ح ت في ن ح ت « قوي » .

(3) المحدِّدات التي ليست لها قيمة صوتية ولكنها تساعد القارئ بإرشاده إلى التفسير الصحيح للمعنى .

عدد العلامات :

كان العدد الإجمالي للهيروغلوفيات في فترتها التقليدية حوالي

700 ، وقد تضاعف عددها في الفترة الأخيرة [حوالي عام 600 م] لأن المصريين كانوا دائما يبتكرون أشكالا جديدة من العلامات ، وكانت الإضافات دائما في إطار المبادئ التي حكمت الكتابة المصرية منذ بدايتها ، فكانت الهيروغلوفية دائما نظاما مرنا ودائما يبتكر .

الهيروغلوفية السرية :

بقيت الأسس التي ابتكرت عليها الهيروغلوفية فلم تفقد رغم تطورها ، بل لقد كانت تتقدم حتى الألف الأخير من استمرارها ، فمن منتصف الألف الثالثة [يعني من عام 1500 ق م] اتخذت الهيروغلوفية مظهرا عجيبا ، فغابت المجموعات المألوفة للكلمة وظهرت علامات عديدة لم تكن موجودة من قبل بحيث توحي نصوصها لأول نظرة أنها كتابة سرية [شفرية] . ومن المحتمل أن القصد من ذلك كان أن تلفت النظر وتمسك العين ولتغري القارئ على متعة البحث لفك شفرتها ، فبعد أن كانت سهلة معلومة صار مطلوبا اكتشافها ، وكمثال بسيط لذلك كان الفم يرسم بشكل المواجهة ⊂⊃ فصار يرسم بالجنب ⊲ مع بقاء ذات القيمة الصوتية .

أطوار الكتابة الهيروغلوفية :

كان تطور الكتابة الهيروغلوفية – تقريبا – كما يلي :

1 – في بادئ الأمر ابتكرت فقط العلامات الضرورية القطعية ،

دون إضفاء قداسة على أشكالها الفنية .

2 – في المرحلة الثانية حدث تسهيل لقراءتها ، بمعنى سرعة القراءة والتخلص من بعض ما يدعو إلى الشك وذلك بزيادة عدد العلامات وباستخدام المحدِّدَات .

3 – بعد أن استدامت المرحلة الثانية حوالي 2000 سنة ، ازداد عدد الرموز إلى عدة آلاف حوالي عام 500 ق .م ، وكان حدوث تلك الطفرة باستخدام الإمكانيات التي لم تكن مستخدمة من قبل .

4 – مع انتشار المسيحية محقت معرفة الكتابة الهيروغلوفية مع الديانة المصرية القديمة .

أدوات الكتابة :

استخدم المصريون الأزميل والشاكوش لنحت العلامات الهيروغلوفية على الحجر كما استعملوا الفرشاة مع الألوان للكتابة على الخشب والأسطح الناعمة الأخرى ، واستخدموا الجلد والبردي كأسطح كتابة . واتخذوا جذوع السمّار بطول 16-32 سم يقطع بميل في آخره ليعمل كريشة ، أو يدغدغ من آخره لفصل الألياف مثل رأس الفرشاة لتقوم بعمل آلة الكتابة ، وكذا أعواد البوص المشقوق كانوا يبرونها ويدببون أطرافها . كذلك صنعوا أوراق البردي بضم صحائف من سيقان نباته فأنتجوا صحائف ناعمة وجميلة يصل طول بعضها إلى عشرات من الأمتار أتاحت لهم وسيلة لتدوين الوثائق والأفكار وكأنها مجلدات وكتب حفظت في شكل لفائف .

الخط الهيراطيقي :

الكتابة الهيراطيقية هي الخط المصري المتصل [المشبك] cursive وقد اكتسبت اسمها من الكلمة اليونانية هيراتيكوس heiratikos بمعنى الكنسي أو الكهنوتي ، ذلك أنه في ذلك الوقت لم يكن هذا الخط مستعملا إلا في النصوص المقدسة ، أما الوثائق الدنيوية فكانت تكتب بنسق آخر هو الخط الديموطيقي [باليونانية ديموتيكوس dimotikos ومعناها الشعبي] أو الخط العامي .

وبناء الخط الهيراطيقي يضاهي بناء الخط الهيروغليفي ، غير أنه أجري تبسيط على الحروف الهيراطيقية حتى يتسنى كتابتها أسرع بالفرشاة أو الحلفاء والحبر على البردي . ومع ذلك فإن النظام الهيراطيقي يختلف عن النظام الهيروغليفي من بعض الوجوه :

1 – كانت الهيراطيقية تكتب عموديا من أعلى إلى أسفل ولكن منذ حوالي عام 2000 ق م صارت تكتب في اتجاه واحد فقط من اليمين إلى اليسار .

2 – صارت في الهيراطيقية وصلات لربط علامتين – وليس أكثر من علامتين في تركيبة واحدة .

3 – بفعل المساعدات والمكملات والمخصصات كانت الهيروغلوفية أكثر سهولة في قراءتها وكان الخط الهيراطيقي أكثر تخشبا [صلابة] ، ولكن على مدى الزمن تقدم الهجاء الهيراطيقي وتغير

ولكن لم تتطابق النصوص الهيراطيقية مع مثيلتها الهيروغلوفية المعاصرة لها لا في مكان وضع العلامات ولا في هجاء الكلمات .

4 – استخدمت الهيراطيقية علامات مميزة للتمييز بين علامتين نشأتا متشابهتين بسبب تشبيك الكتابة ، مثلا رجل البقرة أضيف إليها صليب لأنها في الهيراطيقية جاءت تمثل رجل إنسان .

وقد استعيرت بعض العلامات الهيراطيقية في الخط الهيروغليفي .

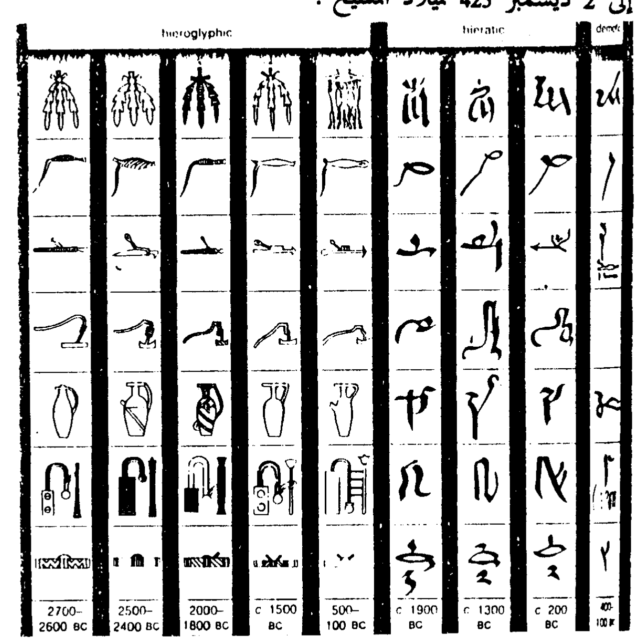
وجميع الوثائق العادية مثل الخطابات والقوائم والمحررات الرسمية كانت تحرر بالخط الهيراطيقي ، وكذلك النصوص العلمية والأدبية والدينية . وقد لعب الخط الهيراطيقي في حياة المصريين دورا أكبر مما لعبته الكتابة الهيروغلوفية كما كان يتم تعليمه مبكرا في المدارس ، أما في المكاتب الرسمية فقد حل الخط الديموطيقي محل الهيراطيقي منذ القرن السابع قبل الميلاد ، ولكن ظل الهيراطيقي معمولا به حتى زمن متأخر في النصوص الدينية من جميع الأنواع ، وآخر النصوص الهيراطيقية الأثرية يرجع إلى آخر القرن الأول أو بداية القرن الثاني بعد الميلاد .

الخط الديموطيقي :

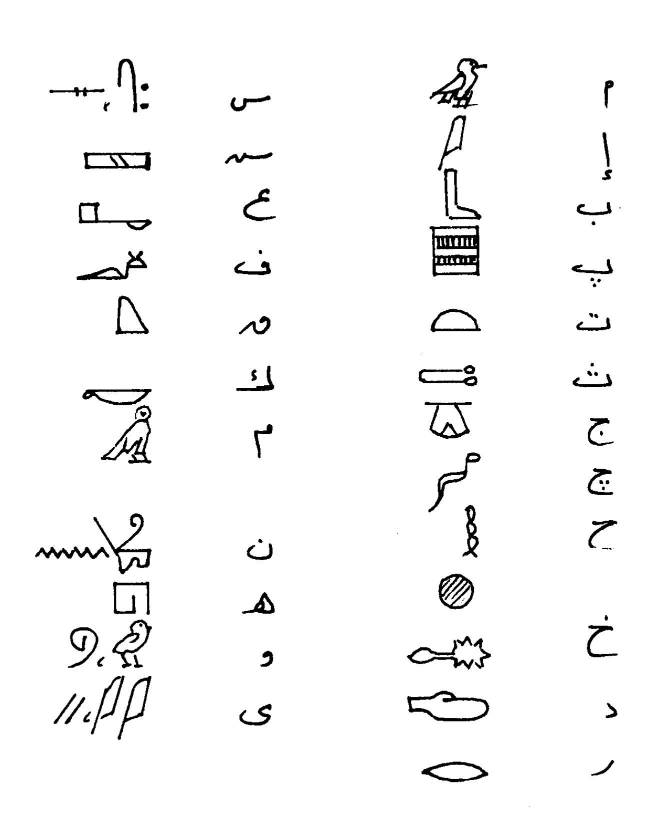
بدأ ظهور الخط الديموطيقي مع بداية الأسرة السادسة والعشرين حوالي عام 660 قبل الميلاد ، وتبين علامات كتابتها بوضوح عن علاقتها بالخط الهيراطيقي ، ولو أن الحروف الديموطيقية أكثر اتصالا

ببعضها وأكثر تشابها بين أحدها والآخر ، ونتيجة لذلك فهي أسهل في كتابتها وأصعب في قراءتها من الأشكال الهيراطيقية .

وقد ظهرت الديموطيقية ابتداء للاستخدام الحكومي للوثائق الرسمية . ولكن بعد قليل استعملت للنصوص الأدبية بالإضافة إلى الوثائق والرسائل ، وبعد ذلك استخدمت أيضا للنصوص الدينية ، وآخر نص ديموطيقي عثر عليه نحت صخري في فيلة يرجع تاريخه إلى 2 ديسمبر 425 لميلاد المسيح .



جدول مقارن هيروغليفي هيراطيقي ديموطيقي عن دائرة المعارف البريطانية 8 / 856 .



الأبجدية الهيروغلوفية

خاتمة

إن العلم كله من عند الله ، فإنه سبحانه وتعالى يعلّم من علومه ما يشاء لمن يشاء فعلم آدم الأسماء كلها ، وعلم نوح صنع الفلك ، وآتى إبراهيم الحجة ، وعلم يعقوب علما لا نعلمه ، وعلم يوسف تأويل الأحاديث ، وعلم داود صنعة لبوس ، وعلم سليمان منطق الطير ، ولغة النمل ، وكتب لموسى في الألواح من كل شيء موعظة ، وعلم المسيح عيسى الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم[1] .

وعلم المصريين الكتابة !

نعم كان المصريون هم الذين أهدوا إلى البشرية الكتابة والقراءة ...

كان المصريون هم الذين محوا أمية البشرية

ثم كان الإسلام دينا حضاريا عمرانيا ، أو كما نعبر عن ذلك بأنه

(1) من الكهف إلى الكون ، أحمد حسن رضوان 237 .

دين ودنيا ، نزل في أمة أمية وحض كثيرا على العلم والتعلم ، وعلى طلب العلم فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وهو مطالب به عمره كله من المهد إلى اللحد ، وحث على تحصيل العلم ولو من أقصى الأرض فسن الرحلة ولو بمشقة في هذا السبيل ، ولذلك ازدهرت علوم الدنيا في العصور الإسلامية الزاهرة ، وامتد ذلك من مشرق دول الإسلام إلى مغربه حتى كان أولاد ملوك أوروبا يتتلمذون على جامعات مساجد الأندلس وحتى كانت الحروب الصليبية جسرا لانتقال العلوم والمعارف والحضارة من المشرق الإسلامي إلى المغرب المسيحي ، وإذا بهؤلاء الذين كانوا أميين قبل البعثة ينجبون أعظم العلماء في كافة المجالات ، وإذا برعاة الإبل والغنم قد صاروا رعاة الأمم والشعوب ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلما عادوا وغيروا ونسوا الله ونسوا ما ذكروا به نسيهم الله وأنساهم أنفسهم .

إن المسئولية أمام الله فردية « ويأتينا يوم القيامة فردا » فكل مسلم مسئول بقدر عمله ، وأيضا بقدر تقاعسه عن عمله ، والتعلم عبادة وإهمالها وزر ، وفي كل دعوة إلى الصلاة ينادينا المؤذن خمس مرات كل يوم « حي على الفلاح » .

فهل نذكر هذا ونعود إلى مفاتيح الفلاح في الدنيا والآخرة ؟ علينا

بالتعلم والعلم يبدأ بالقراءة .

إن جميع العلوم وبدون استثناء تبدأ بالكتابة والقراءة ، وهي من منن الله العظمى على الإنسان ، فلا علم ولا معرفة ولا ثقافة ولا رقي ولا حضارة بغير كتابة وقراءة . وصدق الله العظيم ﴿ **اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾

[سورة العلق]



المراجع

ـ تاريخ الأقباط	زكي شنودة
ـ تاريخ الحركة القومية	عبد الرحمن الرافعي
ـ دليل المتحف المصري	
ـ موسوعة تاريخ مصر	أحمد حسين
ـ الموسوعة الثقافية	مؤسسة فرانكلين
ـ موسوعة حكام مصر	د . ناصر الأنصاري

– Encyclopaedia Britanica

– The Rosetta Stone

الفهـــرس

الفصل الرابع

رقم الإيداع : ٨٩١٣ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي : ٦ ـ ١١٩ ـ ٢٠٧ ـ ٩٧٧

